المشرق

العلاج بالكهرباء

للدكتور نجيب افندي اصفر متولي المعالجة الكهربائية في مكتبنا الطبي
واحد أعضاء جمعية الطب الكهربائي في باريس

ليس العلاج بالكهرباء من الامور المستحدثة كما يزعم البعض فانَّ التاريخ ينبئ بان البشر اهتدوا الى هذه الطريقة العلاجيَّة منذ عهد عهيد قبل ان يوقفنا العلماء على حقيقة الكهرباء وخواصها العجيبة. ومما روى الطبيعي بلينيوس الاصغر انَّ نساء من سودان افريقية اعتدنَ في زمانه ان يغسلنَ اولادهنَّ في غدرانٍ ومستنقعات يسبح فيها السمك الرعَّاد وهو الكهربائي. ومن المعالجات التي وصفها للنقرس سكريبونيوس لرغوس طبيب طيباريوس القيصر الروماني الاستحمام بمثل هذه المياه المتكهربة. بل يسوغ القول انَّ اهل الشرق ألفوا المداواة بالكهرباء قبل هذين الكاتبين فان لبس قلائد الكهرب امر شائع عندنا بين النساء والاطفال جرى عليه الجمهور منذ القدم ونسبوا اليه خواص عجيبة لم يزل العامَّة حتى يومنا يطنبون فيها

بيد انَّ العلاج بالكهرباء لم يكن سابقًا على طريقة نظاميَّة مبنيًا على مبادئ علميَّة راسخة كما أنَّهُ كان محصورًا في البلاد المتاخمة للبحر المتوسط حيث يُلتقى السمك الرعَّاد. وليس منهُ في غير هذا البحر الَّا النزر القليل

هذا ولا نعدد هنا ما طرأ على العلاج الكهربائي من التقلُّبات المتوالية وكيف بقي زمنًا طويلًا في ايدي بعض الاطباء الجاهلين الذين لم يحسنوا استعمالهُ او اتَّخذوهُ للمكر والشعوذة حتى كسدت تجارتهم وافتضح امرهم

واعلم انَّ من ادخل العلاج الكهربائيّ في طور جديد العالمان الفاضلان دوشان دي بولوني (Duchenne de Boulogne) الفرنسي ورماك (Remak) الجرمانيّ وكلاهما

قد افرغ ما عنده من الحزم والهمّة الى ان توصّلا الى وضع طريقتين مشهورتين للمداواة بالكهرباء. الواحدة اكتشفها الدكتور دوشان ودعاها « العلاج الفارادي » (faradothé-rapie) بإسم فارادي الكهرباني الشهير والاخرى سبق اليها ريناك فسمّاها « العلاج الغلفاني » (galvanothérapie)

امّا اليوم فقد كثر عدد الاطباء الذين يزاولون الطب بالكهرباء. وسوف نورد اسماءهم في مطاوي كلامنا. وحسبنا ان نقول الآن انّ المعالجة بالكهرباء قد اتّسع نطاقها ايّ اتساع بعد انحصارها زمنًا طويلًا في حيّز ضيّق لم يكد الأساة يستعملونها في غير الاوجاع العصبيّة

وقبل وصفنا طرائق العلاج الكهرباني وذكر الامراض التي يمكن مداواتها بهذا العامل الكبير لا نرى بدًّا من حلّ مشكل سابق اشتبه على الجمهور بل على بعض الخواصّ وهو صلاحيّة الكهرباء للمعالجات الطبيّة. فانّ قومًا يثبتون انّ للكهرباء قوّة في نفسها كافية لشفاء الاسقام بينا ينكر ذلك قوم آخرون فيزعمون انّ فعل الكهرباء متوقّف كلّهُ على استهواء (la suggestion) المرضى واستمامتهم.

نقول انّ هذا البحث قد خاض احد ائمّة الطب وهو الدكتور النطاسي دارسُنفال (d' Arsonval) احد اساتذة مكتب باريس قال:

« لقد اخذنا العجب ممن يزعمون انّ قوّة الكهرباء ليست في ذاتها وانّما تكون بالاستهواء عند نفوذ الجاري الكهربائيّة. ولكن هذا باطل لاننا نرى للكهرباء مفاعيل لا تُنسب الّا لقوّتها الخاصّة. أفليس هي التي تنشّط التنفّس في الانسان والحيوان السالمَين فيزيد استنفادهما للاكسيجين المحيي واخراجهما للحامض الكربونيك القاتل مع نموّ الحرارة المُشمّة ؟ أَو ليس بفعل الكهرباء نرى المُصاب بآفة البول السُكّري ينقص في مائه السكّر من ٦٠٠ غرام الى غرامات قليلة في ٢٤ ساعة ؟ هي الكهرباء تؤثر في بعض الميكروبات فتتغيّر خواصها وتحوّل سمّها الى موادّ واقية يحسن التطعيم بها كما بيّن ذلك العلّامتان شارين وغينو (Charrin et Guinot). هي التي تشفي عدّة امراض جلديّة كالحزاز والقوباء والبثور وغيرها تعالجها بالكهرباء بضعة ايام فلا يبقى لها اثر. وكذا الامراض العصبيّة والفالج والصداع لا يغلبها الّا عامل الكهرباء »

فصحّ اذن القول بعد كلام هذا الامام الشهير والاستاذ البارع انّ في نفس

الكهرباء قوّة عظيمة شافية لا يُنكَر مفعولها. ويؤيد قولهُ شهادات عديدة لنُطس الحكماء كتريبيار (Trippier) وبرغوني (Bergonié) وابوستولي (Apostoli) وڤيكورو (Vigouroux) ولوسركل (Lecercle) وشارين وغيرهم

وما يقضي منّا العجب اننا لا نزال بعد اختبارات هؤلاء المشاهير نسمع بعض الاطباء يندّدون باستعمال العلاج الكهربائي ويقولون: «قد عالجت المرض الفلاني بالكهرباء فلم استفد شيئًا». الّا انّ طرائق العلاج بالكهرباء كثيرة منها ما يكون بالمجاري الثابتة ومنها ما يكون بالبطاريّات سلبًا او ايجابًا. بعضها يتمّ على الطريقة الفاراديّة المتواصلة او المتوازنة وبعضها على الطريقة الفرنكلينيّة بهيئة الشرر او الألسنة الناريّة او النفخ او الاستحمام او الرشّ. ألعلّهم يظنّون انّ الامراض تشفي على غطٍ واحد من العلاج الكهربائي لقد ساء ظنّهم فانّ المعالجات تختلف مع اختلاف الامراض ولكلّ صنفٍ من المجاري الكهربائيّة مفاعيل خاصّة في الطبّ كما سترى

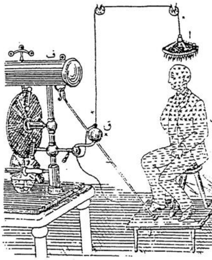
المجاري الكهربائيّة الطبية

للمتطبين في استعمال الكهرباء ثلاث طرائق جروا عليها سابقًا وهي الطريقة الفرنكلينيّة والطريقة الغلفانيّة والطريقة الفاراديّة. على انّ المحدثين تفنّنوا في استعمال الكهرباء ومجاريها فمنهم من استخدم اشعّة رنتجن ومنهم من طبّب بالمجاري المتوازنة بواسطة الاهتزازات التليفونيّة ومنهم من التجأ الى المجاري المتماسكة الشديدة التواتر السريعة التقطّع التي اكتشفها تسلا (Tesla). ونحن بعد ذكر الطرائق الثلاث السابق ذكرها نُلحق بها كلامًا عن مجاري تسلا ونضرب صفحًا عمّا سواها لقلّة استعمالها

١ً المعالجة بطريقة فرنكلين

هذه اول طريقة علاجيّة بالكهرباء شاعت بين ارباب الطب ودعوها بالطريقة الفرنكلينيّة (franklinisation) اشارةً الى العلامة الاميركي فرنكلين الشهير باختراعاته الكهربائيّة. وهي تكون عادةً بالكهربائيّة الساكنة (électricité statique) اي المتولّدة بالفرك فهذه الطريقة العلاجيّة اشبه بحمّام كهربائي يستحمّ بهِ العليل. امّا الآلة المتّخذة لذلك فهي آلة الكهرباء الشائعة على اختلاف تجهيزها وهيئاتها. وكان فعلها سابقًا يحصل بالفرك كآلة رَمسدين (Ramsden) او ڤنتر (Winter) ثمّ استُعملت آلتا هُلتس وڤمشورست (Holtz et Wimshurst) واليوم معوَّل الاطباء على آلة ڤمشورست وهي

التي رسمنا هنا صورتها . لها ادوات كثيرة لا نطيل الكلام في وصفها وانما نعدد مفاعيلها الطبيَّة



الاستحمام بالكهرباء الساكنة

ا باعث الكهرباء الساكنة الايجابي ب لوح زجاج سلبي ث حدود فعل الباعث الايجابي
ف خزانة الكهرباء السلبيَّة ق خزانة صغرى الكهرباء الايجابيَّة

اعلم انَّ مفاعيل الكهرباء الساكنة تختلف حسب استعمالها فمنها ما يُداوى به الجسم عموماً ومنها ما يُتَّخذ لعلاج احد اجهزة الجسد او عضو من اعضائه الخاصَّة

امَّا الفاعيل التي تعمُّ الجسم فمنها مسكِّنة ومنها منبّهة ومنها مغذية

ولبيان ذلك قد افترض العلماء انَّ لخلايا الجسم العصبيَّة (neurone) مجرًى كهربائيًا خاصًا به فاذا نفذت في الجسم الكهرباء الخارجيَّة تأثَّر المجرى الداخلي فتولَّدت فيه مجارٍ ثانويَّة او منعكسة حسب قوَّة الطلقات الكهربائيَّة واهتزازاتها . ولهذه التأثيرات فعلٌ طبيٌّ او فيسيولوجي لا يُنكَر غير انهُ يصعب تعيين مقدارهِ وكيفيَّة بلوغهِ الى الاعصاب بعد نفوذهِ اليها مجتازًا بالغلاف الجلدي الذي يسترها

وتظهر مفاعيل هذه الكهرباء ليس فقط بعملها في المجرى العصبيّ ولكن ايضاً في

الدوران الدموي وخصوصاً في الجهاز المحرّك للعروق والشرايين (appareil vaso-moteur) وذلك بسياق انعكاسات متوالية فينتج من ذلك تأثير في الجهاز الهضمي والاعمال الغذائية

ومما تأكّد بالاختبار انّ الحمام الكهربائي الساكن يخفّف توتّر الشريانات بعكس المجاري السريعة التقطّع . فيسخن بذلك جسم العليل وتخفّ حركة دمه في الدوران وتزيد شهوتهُ للطعام ويزول اعتقال البطن ويدرّ البول وتتحسن الوظائف الجلديّة وتكثر الافرازات وينمو الغذاء. ويعود النوم للاجفان بعد الأرق ويتوارى ضعف الجسم والانيميا ويزيد مقدار كرّيات الدم الحمراء (hémoglobine) وتنقص بدانة الجسم المفرطة الى غير ذلك من المفعولات الحسنة

هذا ولستُ بزاعم انّ بالكهرباء الساكنة وحدها يمكن الحصول على النتائج السابق ذكرها لاني اعلم حقّ العلم انّ امراضاً كهذه تستدعي عوامل اخرى وعلاجاً طويلاً. ولكن أيجوز للاطبّاء ان يحرموا مرضاهم ذوي الشرايين المتوتّرة من معالجة فعّالة كالكهرباء. فالأحقّ بهم ان يضيفوها الى غيرها من التدابير الصحيّة التي يرونها انسب لحالة المرضى فيزيلون بذلك او يخفّفون أوصابهم لاسيَّا بعد ان بيّنت اختبارات ائمّة العلماء عظم فوائدها وتبيّناها نحن ايضاً ولا نزال نتبيّنها كلّ يوم في المكتب الطبي الفرنسي

وما يزيدنا ثقةً في علاج الكهرباء الساكنة انّ مفاعيلها ليست توهّمات مبنيّة على المخيّلة والحدس بل هي ظاهرة للعيان يمكن تدوينها بالمقاييس فترى مثلاً بمقياس النبض (sphygmogramme) تصاعداً في توتّر الشرايين في ساعة الاستحمام بالكهرباء. كما انّ العرق يظهر في كفّ اليد وتنمو حرارة الجسم ببضع عشرات الدرجة ويسلس البول وكذلك يزيد التبادل بين موادّ الجسم بنفي المادّة البوليّة (l'urée) ومركّبات الفسفور. اما الحامض الكربونيك السامّ فانّ المريض المعالج بالكهرباء الساكنة يخرجهُ من فيهِ بالشهيق بكميّة اعظم من ذي قبل كما بيّن ذلك العلم دارسنڤال في مقالة قدّمها للجمعيّة البيولوجيّة سنة ١٨٩٢ واظهر جليّاً انّ تنفّس المرضى بقوّة هذا العامل يقوى ويسهل معاً

ومن نتائج اختبارات الدكتور ابوستولي في أيامنا انّ الاستحمام الكهربائي احسن علاج للهيستريا واورام الرحم. وهو امر لا ينكرهُ عاقل على هذا العلّامة ذي الشهرة الذائعة. وتزيد على ذلك ان هذا العلاج احسن ما تُداوى به الاوجاع العصبيّة عند

افراط الضغط الشرياني فانَّ المرضى لا يلبثون ان ينجوا ممَّا يلمّ بهم من التوعُّك والارق وبالاجمال يسوغ لنـا القول انَّ الاستحمام الكهربائي يفيد فائدة عُظمى ويُحسّن حالة المريض في فقر الدم وضعف الجسم والهزال والامراض العصبيَّة وتوعُّك المزاج وغير ذلك كما سترى (ستأتي البقيَّة)

الربيع في المشرق

بقلم الاديب يوسف افندي فاخوري معلم العربيَّة في المدرسة البطريركيَّة

برز الربيعُ فلتَ فيهِ رخاء   وأراك من بعد الشتاء صفاء
زار الحِمى ببهائهِ وجمالهِ   متوشّحاً ثوب الكمال رداء
وافى الثغور بحلَّة مخضرَّةٍ   يختالُ عجباً مائساً خيلاء
والشمسُ ارسلتِ الشعاع فنازلت   زهر الجنان مودَّةً وولاء
والوردُ لوّنهُ الحياء بحمرةٍ   حتى غدا كالارجوان حياء
والياسمين تكلَّلت غرسانهُ   بياض ازهارٍ تفوح شذاء
وبهِ الطهارة قـد تصوَّر وجهها   رسماً يسيل ظرافةً وبهاء
والزعفران تلوَّنت اشكالهُ   من ازرقٍ يحكي السماء نقاء
او اصفرٍ زاهٍ واحمرَ زاهرٍ   او ابيض كالاقحوان سناء
والاقحوان غطا المروج بزهرهِ   يسبي النواظر بهجةً وضياء
والطير يشدو في الرياض مغرّداً   لحناً يوقّعهُ الهزارُ غناء
وحمائم الاراك صاحت تشتكي   بُعد الاليفة بكرةً ومساء
وبلابل الجنَّات ترسل لحنها   صوتاً يردّدهُ الشجيُّ عزاء
والجوُّ يضحك والثغور بواسمٌ   والماء يعـذب ان وردتَ الماء
والبدرُ في وسط الكواكب قائمٌ   يسري حثيثاً او يشقُّ فضاء
خلتَ الثغور وخلتَ حالة جوّها   في الشرق ايَّام الربيع سماء

هي ثغورنا ثغور الشرق التي كانت تعرَّت من ملابسها الزهريَّة الخضراء.. وتجرَّدت سهولها الفسيحة وقمم جبالها الشاهقة من حللها النبـاتيَّة في ايام الشتاء. قامت تكتسي ثوبًا جديدًا قشيبًا، وتلبس حلّتهـا رداء اخضر عجيبًا. وذكرت الخليقة عهد ايام سرور مضت رأت امثالها اليها مقبلة. فحنَّت اليها حنين أليف بان لهُ وجهُ خدنهِ الحميم. وقابلتها مرحّبة ثملة بروق بهجتها لما شاهدتهُ في اصباحها وامسائها من آيات جمالها المنزلة. فطارت الى معانقتها شوقًا تلثم عارضيها والامل يقوّيها. والوصال يفرحهـا والحب ينعش نفسها

المائتة ويعزّيها . وما تذكّر اديمُ الارض حالةً كان عليها في فصل الشتاء من الجدب والقحول . وعرضها على ما هو عليهِ اليوم من الغنى والرزق المكفول . حتى ظنّ انهُ كان ممّن فقد الراحة فوجدها . وكن كادت تزول عنهُ اسباب السعادة وهمٌ الى اركانها فوطّدها . جبالٌ نراها ضاحكة القلل كانت مغطاةً قُبَيل الان بالثلوج والغيم يرسل اليها من براقعهِ السّجف السديل . واودية نشاهد خبوتها مبتهجةً تفتخر ببهاء خضرتها وترتاح الى خرير مائها الزلال . كانت من قبل ترغو وتربد فيها المجاري وتُقذَف اليها الصخور من الرواني والتلال . سواقٍ وانهرٌ تنساب المياه فيها انسياب الافعوان فتلاعبهُ في الجنّات هزلًا وجدًا . كان يوقفها في مجاريها تجليد سطح مائها فترتجف عناصرها عناءً وبردًا . هي ايّام اتاحت للنظر فرصة بعد سلبها حريّتهُ المطلقة وتقييده فأُعتق وسرح في الأوداء والآكام . وراح يجول في البساتين ويرتقي الى اوج العلاء وينخفض الى اصل العراء ويمرق من خلال الخمائل والآجام . سكوتٌ مستولٍ على اندية المعمور تبدّل بدويّ تتداولهُ الاسماع مسبّبٍ عن حركة العمّال . مجالاتُ رزقٍ واسبابُ معاش اتّسعت بعد ضيقها ونُشرت بعد الفناء والزوال . ومرّ الصبا على العراء يداعبهِ وخرجت الطبيعة من اسر خمودها . ورجعت اليها نسمة الحياة فسهدت بعد هجودها . تجمّلها الكياسة والظرافة . وترافقها الرقّة واللطافة . تُحيّيها ذُكاء بشعاعها ويعانقها ضياؤها . وترسل اليها لعابها ويظهر عليها سناؤها . ومولد النبات قد اختبر سر فعل الطبيعة بقدرة باريها . وأنتجت الارض اعشابًا وغرساتٍ مثمرة فعطّرت الخلاق جنانُها وبراريها . وكلا الصحارى نقّطهُ الزهر الباهر . والسفوح كلّلها الاخضرار الناضر . والحقول شيّدت منازل فطرقت ابوابها البَهم تطلب اليها الضيافة . فرحّبت بها ونزلت عليها اهلًا ووجدت مكانًا رحبًا ولم تخشَ صدودًا او مخافة . مروجٌ نبتت فيها السنابل متواضعةً خافضة الرؤوس شأن الكامل . لا يجد الناظر في واحدةٍ منها تشامخًا ولا عظمة صفةَ الشهم العاقل . وقد ثقّلها الحبُّ وهبّ عليها النسيم فهزّها طربًا . وكان لها حفيفٌ يملأ النوادي جزلًا ويشفي من القلوب وصبًا . وتفتّحت اكمام الازهار . وهلّت في الرياض الأقمار . وجاء بكر الربيع الجوري وقام في وسط البساتين تعلو خدّهُ حمرة الخجل . يهدي الينا من عرفهِ شذا رائحة ذكيّة فتسرّ بهِ الاعين النُجل . وبان القرنفل من خلال الرياحين متلوّنًا تفوح ريّاهُ العطريّة . والياسمين شقّ عليهِ بُعد الخليل فتاقت نفسهُ الى مشاهدة طلعتهِ البهيّة . فشكا الصدّ

والهجرَ وتضرَّع الى الندى فرطبهُ فتفتَّحت اقارهُ ورأينا مثال الطهارة في بياض زُهيراته النقيَّة. واستيقظ البنفسج وبدت اعينهُ فقرأنا فيهـا من النقاوة سُوَرًا. وقام النيلوفر في جوف الماء معجباً بجماله يرينـا من حسنه صورًا. وعادت اليـنا الطيور مغادرة اخاديرها اذ رأت غزالة شرقنا قد أذابت ثلوج آكامنا فقدمت مرسلة رنائدها اصواتهـا الشجيَّة. وترلت على الرُّحب والسَّعة فحيَّتها المنازل والرياض الشرقية. فاتخذت لها مساكن في اشجارها ذات الأثمار الشهيَّة. وشيَّدت وكناتها في افنانها وباضت ثمَّ نقفت افراخها على ألوانها. فتنقَّلت في جناتنا تريح بشدوها عن الفكر العناء. ويقودنا تغريدها المطرب الى المسرَّة والصفاء. فاشجانا صوت الشحرور مفردًا. وراقنـا ابو الحسن (الحسون) بجماله متفردًا. وسرَّنا صوت البلبل ارسل من ألحانه ضروبًا. فشنَّف آذانًا وسبى قلوبًا. واطربنا الهزار آمنًا فتكات الزمان. يغرّد متنقّلًا على افناننا فينسينا الاشجان. وهو كمن استهوتهُ سَورة الخمر الرحيق فاسكرتهُ واطربتـهُ. فطاف الحدائق غير صامت هنيهة كأنَّ بهجة ازهارها استخفَّتهُ وخلبتهُ. ولقد تخيَّلنا تغريد طيورنا العربيَّة. أصوات قوم ألفوا الغناء او الحانًا موقعة آليَّة. ولا بشرٌ هنالك فما تلك الَّا مخلوقات صغيرة تمجّـد العلَّام البصير. تجيء وتذهب وتترقرق في الفضاء بقوَّة الخلَّاق القدير. وجاءتنا السنونو ترفُّ في سمائنا مبشرة بقرب ورود موسم الحرير. تشقّ الافلاك كحراب تارةً. سابحة في الهواء باجنحة ابنوسيَّة. وتسمو الى مقرّ الجوزاء. فتناطح صرح دراريها. صدقة ما قالهُ جمال الدين فيها:

وغريبةٍ حنَّت الى وكرٍ لها ... فأتت اليه في الزمان المقبلِ
فرشت جناح الآبنوس وصفَّقت ... بالعاج ثمَّ تقنَّعت بالصندلِ

فتلك هي احوال أيَّام الربيع في شرقنا المشرق تمثّل الحداثة وطهارتها. وتلك مناظر الجوّ وصفائه في هذا الفصل تذكّر بالشبيبة وتصوّر غضاضتها. بدائع اوجدهـا الله تعالى فخبَّرت بقدرة صانعها. وخلائق افصحت عن حكمة مبدعها. واجابت اذ سألناها هل يدوم للمرء الصفاء. كلَّا لا دوام في عالم الفناء. ولا سعـادة الَّا في دار البقاء. وتمثَّلت بقول بعض الشُّعراء:

ألا نحن في دار قليل بقاؤهـا ... سريع تداعيها وشيك فناؤها
تزوَّد من الدنيا التُّقى والنُّهى فقد ... تنكَّرت الدنيا وحان انقضاؤها

الحياكة وموادّها واتقانها في زوق ميكائيل

بقلم حضرة الاب جبرائيل كبرلوس احد اساتذة مدرسة عنطورة العامرة

الحياكة صناعة متوغلة في مجاهل القدم ومعتبرة عند جميع طبقات الامم فهي حياة قالب الاجسام البشرية كالقوت لقلبها تحاكي المأكل والمشرب ضرورةً ولزوماً في كل اوقات المعيشة وتشابههما غلظةً ورخاء بتنوع موادّها واختلاف اجناسها وتنافسها قيمةً وعظمةً بكيفية صنعها ودقة حبكها. فكما ان للاشراف والمتموّلين من الناس والمتوسطين والعامة منهم من المآكل والمشارب فنون الالوان هكذا لهم جميعاً في الحرير ضروب الحلل وفي الصوف والكتّان وغيرهما صنوف الملابس وأنواع الثياب والانسجة. فلا عجب والحالة ما ذُكر اذا شاهدنا اصحاب هذا الفنّ في كل قطر ومصر يتنافسون بمصنوعاتهم ويتسابقون في ميادين اتقان نسجها واجادته. وبما ان غاية قصدنا التكلّم عن مصنوعات زوق ميكائيل دون سواها فيجدر بنا قبل الأخذ به ان نأتي على ذكر اهمّ موادّ الحياكة والإلماع الى تاريخ نشأتها

١

ان اخصّ الاصناف التي تُصنع منها الانسجة انما هي الكتّان والقنّب والقطن من النبات والصوف والحرير من الحيوان

(فالكتّان) نبات حَولي اصل منبتهِ في سهول آسية الكبرى استجلبهُ الاوربيون منها الى بلادهم واحسنوا استعمالهُ زرعاً واستغلالاً. وقيل انَّ المصريين هم اوَّل من زرع الكتان واهتدوا الى عميم منافعهِ بواسطة إلههم ايزيس وما لبثت زراعتهُ ان عمَّت القطر كلّهُ منذ أيام موسى وكثرت مداخيلهُ وتوفّرت وارداتهُ فاشتهرت معاملهُ وملأت صادراتها ممالك قياصرة الرومان في عهد ولايتهم

وممَّا يزيدنا تأكيداً بان الكتان كان عمومياً في مصر هو اسراف اهلها في استعمالهِ اذ تبيَّن اليوم بواسطة نظّارات « تمپسون وبان وديتروشه » بان لُحمة الاكفان التي كانت تحنَّط بها الاجسام من سفلة الشعب المصري القديم وسُداها كانتا من الكتان وليس من القطن كما تُوهم بادئ ذي بدء استناداً الى رأي بعض علماء العاديّات المصريّة

ولنا في اسفار العهد القديم في سياق كلامها عن جنس اوشحة الاحبار وارديتهم حجّة قاطعة و برهان ساطع لا يبقي مجالًا للريب في قدميَّة ما اثبتناه

(القِنّب) هو اشبه بالكتّان جنساً وحياةً لا يختلف عنهُ سوى بعروقه التي هي اثقل واغلظ من عروق الكتّان وامتن منهـا اتى بهِ الغربيون من الهند الشرقيَّة اصل منشاءِ الى بلادهم منـذ زمن لا يُعرف بدؤهُ ولم يكن يستعمل الّا للأشياء الغليظة كالقُلس والحبال واستمرّ كذلك الى منتصف الجيل الخامس عشر حيث نبهت كاترينة دي مديسيس ملكة فرنسة الافكار الى تحسين مصنوعاته فعمل العَمَلةُ فكرهم في تلطيفها وتوصّلوا الى نسيج الخيف منهُ (الجنفيص) والمشمَّعات وغيرها

(القطن) هنديّ الاصل اكتشف عليهِ اليونان في الجيل الخامس ق م حيث قال احد كتبتهم المشهورين والمؤرخين المدقّقين العالم هيرودوت بعد ان جاب ارض مصر وآسيَّة الغربيَّة سائحًا ما تعريبهُ: «انَّ الهنود لديهم نبات يثمر بدل الثمر صوفًا هو اجمل من أصواف الضأن وافضل منها يصنعون منهُ كسوتهم». وقبل ابتداء النصرانيَّة بقليل كان قد ذاع هـذا الصنف في جزيرة بلاد العرب والاقطار المصريَّة ثم انتقل الى بلاد اليونان فايطالية في اوائل النصرانيَّة وتوفّرت معاملهُ في العجم وارمينية واشتهرت ايّما اشتهار في الجيل الثالث عشر وكانت قبائل العرب تنشر زراعتهُ في افريقية كلما افتتحت فيها قطرًا وحلّت من امصارها مصرًا وهي التي جلبت بزورهُ الى اسبانية في الجيـل التاسع واقتدى بها الاتراك في الرابع عشر فاستعملوهُ في جهات البانية ومقدونية ومهر بكيفيَّة نسجهِ بعض اهل البندقيَّـة وميلان فهاجروا منها الى بلجكة وانكلترة سنة ١٤٣٠ حيث اذاعوا هذا الفن وعلّموهُ لألوف من سكّان تلك الديار. امَّا فرنسة فلم يُتح لها الحظّ ان تتمتّع بواردات هذا النوع قبل الجيل السابع عشر وقد كان الاميركان قبل دخول الاوربيّين في ديارهم يستعملون قطن بلادهم خصوصاً في انحـاء البرازيل والانتيل وكوليبا

هذا ما كان من جنس النبات امَّا (الصوف) فهو مادَّة ليفيَّة تكسو جلود الشاء وغيرها كالنعام وبعض الحيوانات الشائمة في بلاد بيرو كما يستر الشعرُ المعزى والوبرُ الابلَ. اكتساهُ اول آبائنا منذ العصور الاولى بدلًا من تلك السُتر الغليظة التي كانت تصنع من ورق الاشجار وقرَفها ومن جلود الايائل والظباء وما شاكلهـا دفعاً لسَبرَات الشتاء

ذلك مبلغ يبذل النفوس دون جمعهِ والحرص عليهِ اشدُّ البخلاء الحريصين ويصرف الحياة في سبيل صرفهِ اعظمُ المسرفين المبذرين

٢

لقد جاء في مطاوي الكلام ان الحياكة فنٌ عُرف شأنهُ منذ العصور المتقدمة ولم يُحرم قطر من البسيطة كلها الّا مارسهُ اهلهُ ونبغ ما بينهم عُصب تميَّزوا في اساليبهِ وفاقوا رصفاءهم باختراعات ابرزها الذكاء والجدُّ الى عالم الوجود فاعترفت بها الاقوام وضربوا لذويها سرادق حمدٍ وثناء خلّدت لهم في بطون التواريخ ذكرًا جميلًا

وقد صحَّ ان اقطارنا الشرقيَّة عمومًا والسوريَّة خصوصًا لم تعدم منذ القدم من دُهاة حاذقين بهذه الصناعة كما رأينا في ما سبق من الحديث عن مصنوعاتهم ومعاملهم ووارداتها الى البلاد الغربيَّة · امَّا اليوم وان فضل المغربُ المشرق ونال في هذا الميدان قصب الرهان فانَّا نرى في منسوجات بعض ديارنا كدمشق وحمص وحلب ما يذكرنا بسالف عزّنا وغابر مجدنا ويحفظ لنا في أعين الاجانب مقامًا رفيعًا وصوت طيب سمعتنا بين ظهرانيهم · ولو كنتُ واقفًا على حقيقة فضل المتفننين في تلك المدن المتقدمة وبراعتهم في هذا الفن لرسمتُ على صفحات الورق ألوان وشيهم وأنواع زركشتهم ولكنَّ مفاوز البعد ومخاطر القصور وصيانة الصدق في المقال قضت عليَّ ان اترك لصاحب البيت عرض ما فيهِ من السلع واطلاع عامَّة الناس عليها وخاصتهم مكتفيًا بوصف منسوجات الزوق احدى قرى لبناننا العزيز فاقول:

تبعد الزوق عن البحر ثلاثة كيلومترات خطًا مستقيمًا موقعها بين فُرضة جونية ومدرسة عينطورا الشهيرة سكَّانها من الموارنة الّا بعض عشراتٍ من الروم الملكيين فيها عدَّة اديار للطائفتين ودير واحد لراهبات الحبة اللواتي هنَّ كملائكة السلام لطفًا وعذوبة ودماثةً يتعاطى اهلها التجارة والصنائع وحراثة الارض بيد انَّ البعض منهم تفرَّدوا بفنِّ الحياكة الذي اكسب هذه البلدة شهرة بعيدة حمت ارباب « المشرق » الكرام ان يفسحوا لذكر ذويها في مجلّتهم المعتبرة مقامًا يقدّرهُ قدرهُ النبهاء الاذكياء ويجلّ مكانتهُ العقلاء الفضلاء

امَّا دخول هذه الصناعة في الزوق فغير معلوم اجلهُ الّا انَّ المعتبرين يروون انَّ اول من احترف هذه الحرفة أتى بها من حمص وعلَّم فئة من مواطنيهِ نسج الاعبئة والمحايين

(الأكار) فاتبعوا هذه الطريقة البسيطة مدة سنوات طوال بيد ان المرحوم عبد الله ابي شقرا من نفس الزوق توفق من زهاء خمسين سنة الى رسم العروق الافرنجية والاسطنبولية على النول بالملحم (المكوك) فاخذ عنه جماعة من بلدته وجدّوا بنسيج انواع الحلل من قنع وأخمرة ومناديل وكوفيات وستائر (بردايات) ومساطق وضروب الأثاث إن فرشاً وإن كسوة وكلها موشاة ومطرزة بخيوط فضية او ذهبية ومبرقشة بالألوان والرسوم المختلفة وفقاً لاذواق اهل العصر وأغراضهم . فتلقاها الجمهور بحسن الرضى واقبلوا على ابتياعها رغبة واستنشاطاً فضاعفت الزوق الجدّ وبالغت باتقان هذه المنسوجات فبسمت لجمال مصنوعاتها ثغور النبلاء وأمهات المدن في سورية ومصر حتى وفي الديار الاوربية وكثرت عليها المطاليب وتوفرت لديها العملاء في كل صوب وأوب فاثرى سكانها وعظم شأنهم ومـا زالوا يتسنمون ذرى التقدم والخطارة حتى فغرت معامل الغرب افواهها وقذفت الى هذه الأقطار من صنوف امتعتها ما قرّ له اعين الاهلين وميّل خواطرهم الى استحسانه فقضى الغربي نفسه العجب من شدة اعتقادنا بمقدرته على العمل وميلنا المفرط الى تفضيل الجديد وتعزيز الغريب ونحن لم نحفل بتوقيف حركة تجارة الوطن وتقهقر اشغال اهله بل اقبلنا نسترود من ادوات الاجانب مسرورين وهم يضحكون من جهالتنا ولسنا بشعرين

ثم تتبع آثار عبد الله المذكور المرحوم راشد ابي شاكر الديراني اصلاً والزوقي وطناً فبرع برسم اجناس العروق وانواع الرسوم وايقظ الافكار من غفلتها واحيا الهمم بعد ميتتها . وقد امتاز في هذه الأيام نخبة من عملة هذه البلدة كالمعلم البارع يوسف بن عبدالله ابي شقرا وانطون مهنّا والياس ابي شقرا وسليم انطون ملحه وانطون سلوم الدمياطي وخليل حنّا شاهين ليس فقط باحكام الحيك ومتانة المتاع بل باجمل الرسوم ودقة الوشي والتطريز والتبرقش ففاقوا من تقدمهم جميعاً تأنقاً وزخرفة وحاكوا مهرة المصوّرين بأن رسموا رسومهم نسجاً على المنسج بالملحم لا بالمنقش او التصوير الشمسي فاستوقفت بدائع حذقهم الابصار وادهشت غرائب ذكائهم البصائر فقصدهم محبو هذه الازيان وجاؤوهم أرسالاً من كل وادٍ وناد ليستصنع هذا رسم مليكه وذاك حبيبه وذلك صورة موضوع آماله ومرجع اميالهِ لتُرفع هدايا حمدٍ وشكر ورموز وداد وحفظ ذكر . وقد اتحفني المعلم يوسف عبد الله ابي شقرا إمام هؤلاء العملة باسماء كثير ممّن صنع رسومهم

على الطريقة المتقدّم ذكرها انما ضيق المقام لا يسمح الّا بذكر ارفعهم منصباً واساميهم مقاماً ليقف القارئ على فضل الصانع واهميَّة صناعته وهم: جلالة امبراطورَي النمسا والمانيا(١ الحاليين وحضرات نجل صدر الصدور العظام ابي الهدى ونجل الصدر الاعظم في الاستانة العليَّة والولاة الفخام ملحاً ولاية بيروت وسوريَّة ومتصرفيَّة لبنان وسليم باشا الملحمه وشقيقه نجيب وحرمهما وغبطة بطريركي الارمن والسريان السابقين

ولنا في ما رفعهُ اعاظم هذه الديار واعيانها من المنسوجات التي نحن بصددها كهدايا فاخرة لقداسة لاون الثالث عشر بنسبة يوبيلهِ الكهنوتي في جملتها صورتهُ الكريمة موشَّاةً وكتقادم عبودية واخلاص للحضرة السلطانيَّة في عيد يوبيلها الفضي وهدايا اعانة ورأفة لسوق الشفقة في عاصمة ولاياتها المحروسة اكبر دليل على رفعة قدرها وسموّ مكانها .

وخلاصة القول انَّ عَمَلة الزوق اهل بان يصنعوا لكلّ ذوقهُ من المنسوجات الحريريَّة والصوفيَّة والقطنيَّة بسيطة كانت او معلمة بانواع الخيوط ان فضةً وان ذهباً ومبرقشة باصناف الرسوم والتماثيل طبقاً لكل مذهب وهوى فعلى ابناء الوطن ان ينظر بعضهم الى بعض اين وكيفما كانوا نظرة توقي شأنهم وتعلي مكانهم لانَّ التعاضد في الامور موطد للقوَّة ومجلب للراحة موفر اسباب السعادة داعٍ الى السلام مبعد من البلاء مُدنٍ من الكمال فان حفظناهُ ثبتت معاقل مجدنا في وجه كرَّات الطوارئ واستمرَّت أطواد عزّنا راسخة وقلاع سطوتنا عامرة وآثار فخارنا غير دارسة والَّا نُسفت ودُكَّت وقُلعت ومُحيت اجارنا الله من شرّ الانقسام فهو القدير وبالاغاثة جدير

وصف الصين للقلقشندي

نبذةٌ تولى نشرها الاب هنري لامنس اليسوعي (تتمَّة)

ومنها « السيلى(٢ » قال في تقويم البلدان: ويُقال لها سيلا ورأيت في بعض الكتب سيلان بزيادة نون بعد اللام والالف . قال: وهي مدينة(٣ في اقصى الصين الشرقي خارجة عن الاقاليم الاول الى الجنوب. قال في القانون حيث الطول مائةٌ وسبعون درجة

١) ورسم جلالة امبراطور المانيا لم يزل حتَّى الآن في محل الفاضل الخواجا ليان سركيس

٢) السيلى توافق اليوم بلاد كوريا . وقيل ان العرب ارادوا بالسيلى بلاد يابان (راجع المسعودي ١:٣٤٦)

٣) والصواب ان كوريا شبه جزيرة مستطيلة

والعرض خمس درج وهي في اعالي الصين من الشرق جزائر الخالدات(١ في بحر الغرب لكن هذه معمورة بخصب بخلاف تلك

ومنها «جَنكوت (٢ » قال في تقويم البلدان: كذا وجدناها مكتوبة: واسمها عند الفرس جماكرد. قال: وهي مدينة في اقصى العمارة الشرقيّة خارجة عن الاقاليم الاول من الاقاليم السبعة الى الجنوب. قال في الاطوال: وهي على خط الاستواء لا عرض لها. قال في تقويم البلدان: وهي على النهاية الشرقيّة مثلما يُحكى عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربيّة. قال: وليس شرقي جمكوت عمارة اصلًا

ومنها مدن اخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط احداها مدينة نجو (٣ وموقعها في الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة. قال في الاطوال: حيث الطول مائة وخمسة وعشرون درجة والعرض اثنان وعشرون وقد ذُكر في القانون انها مستقرّ ملكهم

ومنها «خانقو(٤» وهي مدينة على النهر واقعة في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة. قال في القانون: حيث الطول مائة وستون درجة والعرض اربع عشرة درجة. قال في تقويم البلدان: وهي من ابواب الصين. قال ابن سعيد: وموقعها على شرقي نهر حمران(٥. قال ابن خرداذبه: وهي المرفأ الاكبر وفيها الفواكه الكثيرة والبقول والحنطة والشعير والارز والعنب والسكر

ومنها «خانجو (٦» وهي مدينة على النهر واقعة في الاقاليم الاول من الاقاليم

١) في هذا تصحيف والصواب كجزائر الخالدات. وهي رواية ابي الفداء في تقويم البلدان (ص ٣٦٧). وقد مرّ انّ بلاد كوريا كشبه جزيرة مستطيلة. ولعلّ العرب دعوها بالجزيرة كما قالوا جزيرة الاندلس لدخول قسمها الكبير في البحر – وكانت تلك البلاد اصبحت خراباً بعد الحروب المتوالية التي انتشبت فيها وسوء تدبير ملوكها ٢) لم يمكنّا الوقوف على حقيقة هذه المدينة

٣) كذا في الاصل. وصوابها ينجو كما وردت في تقويم البلدان لابي الفداء (ص ٣٦٤)

٤) يؤخذ من كلام القلقشندي وغيره من جغرافيّي العرب انّ خانقو اسمٌ لمدينتين مختلفتين وما هما في الصحيح الّا اسمٌ لمدينة الخنساء المذكورة سابقاً (راجع مروج الذهب للمسعودي ١: ٣٠٢) وكذا قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٣٦٣): «خانقو المعروفة في زماننا بالخنساء». وقد زعم ابن بطوطة (٤: ٢٩٥): انّ خانقو من اسماء باكين. ونظنّ انّ في اسمها تصحيفاً

٥) «حمران» او «حمدان» كما سيأتي هو في الارجح النهر المعروف اليوم بالنهر الاصفر. وابو الفداء (ص ٣٦٥) قد دعاهُ نهر حمدان

٦) روى ابو الفداء عن ابن سعيد انّ هذه المدينة في الاقليم الرابع

السبعة . قال في الاطوال: حيث الطول اثنتان وستون درجة والعرض اربع عشرة درجة. قال في القانون: وهي من ابواب الصين

ومنها «سوسة (١» قال في تقويم البلدان وهي مدينة مشهورة كثيرة التجار متحدة العمارة بها يُصنع الغضار الصيني الذي لا يفوتهُ ولا يعدلهُ شيء من اعمال الصين. قال: وهي على شرقي نهر جمدان

الاقليم الثاني بلاد الخطا (٢

وهم جنس من الترك بلادهم متاخمة بلاد الصين وقد ذكر في مسالك الابصار مدينة «قمجوهى» وقال: انها اوّل بلاد الخطا وانَّ منها الى جالق بالق (٣ اربعين يوماً بل ذكر ان مدينة جالق بالق التي هي قاعدة هذه المملكة (٤ من بلاد الخطا

الجملة الثانية

في معاملة هذه المملكة واسعارها

امَّا معاملتها فقال في مسالك الابصار: حدَّثني الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطياري انَّ معاملتهم بتشزُر من لحا شجر التوت مطبوعة باسم القان فاذا عتق ذلك حملهُ صاحبهُ الى نوّاب هذا القان واخذ عوضهُ مع خسارة لطيفة كما يؤخذ بدار الضرب مما يحمل اليها من الذهب والفضة ليضرب بها (٥. وذكر عن الشريف حسن السمرقندي انَّ فيها كباراً وصغاراً فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد ومنها ما يقوم مقام درهمين ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم واكثر الى ثلاثين واربعين وخمسين ومائة. وقد تقدَّم في الكلام على جالق بالق واخنا ذكر ما بهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك

الجملة الثالثة

في الطريق الموصل الى هذه المملكة

قد حكى في مسالك الابصار عن الشريف تاج الدين السمرقندي انَّ من سمرقند

١) لم نجد لهذه المدينة ذكراً على هذا اللفظ. ونظنّ انَّ القلقشندي اراد المدينة التي دعاها ابو الفداء في تقويم البلدان «سوكجو» وهي من مدن الصين الشمالية المدعوَّة «سوتشيو» او «سوكتشيو».
٢) بلاد الخطا هي الصين الشماليَّة راجع رحلة ابن بطوطة (٤: ٢٦٤)
٣) من اسماء باكين ٤) اي المملكة الصينية
٥) وقد اخبر بمثل ذلك ابن بطوطة في رحلتهِ لكنَّهُ ذكر بدلاً من ورق التوت «دراهم الكاغد»

من بلاد ما وراء النهر الى نيلى (١ عشرين يوماً ومن نيلى المذكورة الى مالق (٢ عشرين يوماً ومن مالق الى قراجوجا الى قمجوهي الى خان بالق اربعين يوماً . ثم قال : ومن خان بالق الى الخنساء طريقان طريق في البرّ وطريق في البحر وفي كلّ من الطريقين من خان بالق الى الخنساء اربعون يوماً وذكر في الكلام على مملكة بيت بركة (٣ عن حسن الاربلي انّ المسافر اذا سافر من جولان على شرقيها وصل الى مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة

في ذكر ملوكها

قد ذكر المسعودي في مروج الذهب عدّة ملوك من ملوك الصين قبل الاسلام وبعدهُ اسماؤهم اعجمية لا حاجة بذكرها . والمقصود معرفة حالها في أيام بني جنكزخان القائمين بها الى الآن . . . ثمّ لمّا ملك جنكزخان اوصى بتختهِ المستولي فيهِ على هذا القسم من المملكة لولدهِ الصغير اوكداي ومات جنكزخان فاستقرّ ولدهُ اوكداي في المملكة مكانهُ ثمّ ابنهُ كيوك ثم مات فملك بعده منكوقان بن طولي بن جنكزخان ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة فملك بعدهُ ارى بكا ثم قبلي خان ثمّ دمرتاق ثمّ قرماي ثمّ ترمي طبري ثمّ قيان قان ثمّ سندرقان (٤ بن طولي بن جنكزخان وهو الذي كان في الايام الناصريّة محمّد بن قلاوون صاحب الديار المصريّة ثم انقطع خبرهم فلم يُعلم من ملك

---

١) هي احدى مدن تركستان وقد ذكرها القلقشندي في الصفحة ١٤٧٨ قال : قال في مسالك الابصار هي اربعة مدن بين كلّ مدينة والاخرى فرسخ واحد ولكل واحدة اسم يخصُّها

٢) مألق هي احدى مدن تركستان . قال فيها القلقشندي (ص ١٤٧٨) : « نقل عن الشيخ محمّد الخجندي الصوفي وغيرهِ انّ بها من الخيل والاغنام ما لولا موتان يقع فيها في بعض السنوات لا بيعت ولا وُجد من يشتريها لكثرتها وبركات نتائجها »

٣) يريد مملكة القبجاق دعاها كذلك باسم دولةٍ ملكت عليها

٤) كانت وفاة جنكزخان سنة ١٢٢٧ م فخلفهُ اوكداي (ويقال اوكتاي) بعد سنتين ١٢٢٩ ومات سنة ١٢٤١ فتولى بعدهُ الملك ابنهُ البكر كيوك خان سنة ١٢٤٦ ومات سنة ١٢٤٨ فخلفهُ منكو بن طولي اخو اوكداي سنة ١٢٥١ وملك ثمان سنين . وهو الذى دعاهُ ابو الفرج ابن العبري في تاريخ الدول مونككا (ص ٤٥٦) . خلفهُ سنة ١٢٦٠ اخوهُ قُبلاي . الّا انهُ عارضهُ في الملك اخوهُ الصغير ارى بُكا دعاهُ ابو الفرج (ص ٤٩١) اريغبكا فدام الخصام بينهما ١٧ سنة حتّى صار الامر كلّهُ في يد قبلاي وهو فاتح الصين (راجع العدد السابق ص ٤٠٧) ثمّ خلفهُ حفيدهُ دمرتاق ويقال لهُ ايضاً « تيمور » سنة ١٢٩٤ ومات سنة ١٣٠٧ . امّا « قرماي وترمي طبري وقيان قان وسندرقان » فلم نجد لهم ذكرًا في تواريخ المغول ولعلّهم غيّروا اسماءهم فعُرفوا بأسماء صينيّة

منهم. وملوك هذه المملكة من بني جنكزخان كفّار يدينون بتعظيم الشمس واقفون في الاحكام مع ياسة (١ جدهم جنكزخان المقدَّم ذكرهُ في الفصل الاول قال في مسالك الابصار: ذكر لي الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطياري الكاتب البوسعيدي انهم على ما هم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضلة الشاملة لاهل مملكته ومن يرد اليها. قال الشريف السمرقندي: ومن عجائب ما رأيت في مملكة هذا القان انهُ مع كفره في رعاياهُ من المسلمين اممٌ كثيرة وهم عندهُ مكرَّمون ومحترمون ومتى قتل احد من الكفار مسلماً قُتل القاتل الكافر هو واهل بيته ونُهبت اموالهم وان قتل مسلم كافراً لا يُقتل بهِ بل يطلب بديته. ودية الكافر عندهم حمار لا يُطلب بغيره (٢

الجملة الخامسة
في عسكره

قال بدر الدين حسن الاسعردي التاجر: وهذا القان ذو عسكر مديد. قال: والذي اعلم من حالهِ انّ لهُ اثني عشر الف بازدار يركبون الخيل وعساكرهُ من المغل عشرون توماناً وهي مائتا الف فارس امَّا من الخطا فما لا يحصى

الجملة السادسة
في ترتيب هذه المملكة

قال الشريف تاج الدين السمرقندي: وترتيب هذه المملكة انّ لهذا القان اميرين كبيرين هما الوزراء يسمَّى كل من يكون في هذه الرتبة « جنكصان » ودونهما اميران آخران يسمَّى كلّ منهما « ينجار ». ودونهما اميران آخران يسمَّى كلّ منهما « زُوجين ». ودونهما اميران آخران يسمَّى كلّ منهما « بُوجين ». قال ولهُ كاتب هو رأس كتابهِ يسمَّى « يجور » (كذا) وهو بمنزلة كاتب السرّ في بلادنا. والقان يجلس في كل يوم في صدر دار

---

١) ياسة هي مجمل السُّنن التي سنَّها جنكزخان وقد ذكر القلقشندي معظمها في كتابهِ (ص ١٢٨٦). وقد وردت هناك لفظة « ياسة. على صورة « ياسه ». امَّا ابن بطوطة (٤: ٣٠٠) فدعاها « ياساق »

٢) دونك ما كتبهُ القلقشندي في محلٍّ آخر عن تساهل بني جنكزخان في امر الدين (ص: ١٢٨٦) قال: « ومن عادة بني جنكزخان انَّ كلَّ من انتحل منهم مذهباً لم ينكرهُ الآخر ». وقال ايضاً (ص ١٢٨٧): « وامَّا عادتهم في الادب كان من طريق جنكزخان ان يعظم رؤساء كلّ ملَّة ويتَّخذ تعظيمهم وسيلة الى الله تعالى »

فسيحة تسمّى « اشن » بمثابة دار العدل عندنا ويقف الامراء المذكورون حولهُ عن اليمين وعن الشمال على مقادير رتبهم ورأس الكتّاب المسمى « لنجون » (كذا) فاذا شكى احد شكوى او سأل حاجة اعطى قصّتهُ رأس الكتّاب فيقف عليهـا ثم يوصلها الى احد الاميرين اللذين يليانهِ وهما اصغر الكل فيقف عليها هو ومن معهُ ثم يوصلانها الى من يليهما في الرتبة وكذا الى ان تصير الى القان فيأمر فيها بما يراه. وذكر عن الشريف ابي الحسن الكربلاي وكان ممن اجتمع بالقان في هذه البلاد ان لهذا القان اربعة وزراء يصدرون الامر في المملكة كلها ولا يراجع القان الّا في القليـل النادر. قال: واذا اراد القان ان يركب ركب في محفّـة ولا يظهر للناس الّا في يوم واحد وهو مثل يوم مولدهِ في كل سنة فانهُ يركب فرساً ويخرج الى الصحراء ويعمـل بها من الاطعمة والساطات ما يغمر الناس ويكون مثل يوم العيد عندهم

صفحة من تاريخ فرنسا

ردّ على مقتطف للاب لويس دي أنسلم اليسوعي

ظهر في المقتطف (تموز ١٩٠٠ص٢٧) مقالة تحت هذا العنوان « لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت » اسرعنا الى مطالعتها لعلنا نجد ما ترتاح اليهِ نفسنا من تاريخ فرنسة وطننا العزيز. لاسيا انَّ الكاتب وعدنا « بان يكشف لنا النقاب عن الاسرار التي طمس عليها الدهر ». فما اشدّ ماكانت خيبة آمالنا اذ وقفنا على فصل اجدر بان يُنظم في سلك الخزعبلات بل في سياق الاكاذيب منهُ في سياق التاريخ الصادق

وقد ظنَّ جناب المؤلف انَّ كلامـهُ يصيب وقعاً لدى قرَّاء المقتطف بقولهِ انَّهُ « عثر في احدى المجلاَّت الانكليزيَّة » على هذه الحكاية العجيبة كانَّ كل ما تسطرهُ المجلاّت الانكليزيَّة من الحقائق الراهنة التي لا يمكن نقضها. ويا ليت الناقل كان دلَّنا على اسم المجلة لنعرف مقامها بين المجلاَّت العلميَّة واوقفنا على اسم المؤلف لنتبيَّن ما هو عليهِ من التحقيق والتدقيق

ولعلَّك تسأل ما هذه الحكاية ? او ليست هي من الروايات الخياليَّة والاقاصيص

الفرية التي يفكه بها المقتطف قرّاءه ؟ اجبنا أننا كنا ارتأينا مثل هذا الرأي لولا ان الكاتب حاول تأييد مزعمه بشواهد تاريخية من شأنها ان تخدع بعض السُذَّج وتبخس من حقوق احد ملوك فرنسة الافاضل الذين شرّفوا بلدهم بفضائلهم السامية ومناقبهم الفريدة وهو الملك لويس السادس عشر . بل كفى بهذه الصفحة لو صدقت ان تسوّد وجه هذا الملك . وأننا نعلم أنها لا تسوّد إلّا وجه المجلة التي تثبت مثل هذه الروايات وهاك ملخَّص هذه المقالة :

زعم كاتب المقتطف ان لويس السادس عشر لمّا رأى ما صارت اليه امور المملكة بمساعي اصحاب الثورة استدعى خفيةً الى قصر التويلري في باريس حدّادًا اسمهُ فرنسوا جامين (Fr. Gamain) واقتسره على عمل مخبأة في جدار القصر ضمّنها الملك اوراقًا ورسائل تشهد على خيانته لشعبه « وتبيّن انَّ لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانت دعيا (كذا) الالمانيين والنمساويين لغزو فرنسة » (ص٣٣) ولكن لئلا يُطلع جامين احدًا من رجال الجمهورية على هذا السرّ جازاهُ الملك بجزاء سنّمار فاشربتهُ ماري انتوانت قبل خروجهِ من القصر كأسًا مسمومًا . غير انهُ نجا من السمّ فتمكن بعد اسر الملك وزوجته في سجن التمبل (Temple) من اخذ ثارهِ منهما فأطلع الوزير « رولان » على المخبأة وانكشف السر المكتوم وحُكم على الملك بالقتل كمجرم . امّا جامين فجعلت لهُ الحكومة الثورية مرتبًا سنويًا قدره الف فرنك قبضهُ الى سنة وفاته سنة ١٨٠٠

هذه خلاصة مقالة خليل افندي ثابت ألحقها الكاتب ببعض ملاحظات من شأنها ان تكذّب مؤرخي ترجمة الملك لويس وامرأته قال : « ولا بدع اذا نسبوا اليهما جميع الفضائل حتى انَّ من يقرأ ما كتبتهُ هذه الفئة يخال انَّ في فرنسة لذلك العهد جوقًا من الملائكة حلَّ في التويلري مؤلفًا من الملك والملكة واخصّائهما ومن تبقّى من سكان المملكة ابالسة وسفاكو دماء . »

كلّا يا جناب الكاتب المحقق ان كتبة ترجمتَي الملك لويس والملكة ماري انتوانت لم يكونوا كما تزعم فانَّهم يقرّون بما كان للملك ولقرينته من النقائص لكنَّهم غلّبوا محاسنهما وفضائلهما على ما وقع في حياتهما من الخلل وليس ذلك كما تظنّ ابتداعًا منهم بل مراعاةً للحقّ ولو سكتوا هم لنطقت كل فرنسة بل العالم اجمع . قال في لويس معاصرهُ ملك بروسية فردريك الثاني عدوّ فرنسة : « انَّ هذا الملك رجل عاقل معتدل

في كل مساعيه فيه من الصفات مع حداثته ما يندر وجوده في الشيوخ المحنكين بالسياسة . فاهنئ فرنسة به واتمنى لها ان تحصل دائماً على امثاله » . وان اردتَ لأتيناك بشهادات كثيرين من اعداء لويس السادس عشر انفسهم يشهدون لهُ بالفضل . قال رولان الذي سعى بيدَيْهِ بقتلهِ : « ان اعداء الملك لا يعرفونهُ . فهو رجل يطلب الخير لشعبهِ ومن قال فيه غير ذلك افترى عليهِ افتراء . لهُ سجايا طيّبة ومعارف واسعة وعقل صائب وذاكرة عجيبة »

امَّا المؤرخون فكلهم لسان واحد في الثناء على خلالهِ الحسنة مع كثرتهم واختلاف نزعاتهم واوطانهم واديانهم اليك اسماءهم : تيارس (Thiers) وكنتو (Cantu) ولاكريتل (Lacretelle) وغابور (Gabourd) وتان (Taine) وأليسون (Alison) ونتمان (Nettement) ودورى (Duruy) . نعم انهم ينسبون الى الملك الخوّر وضعف العزيمة والتردُّد في الامور ونحن ايضاً نقرّ بذلك ولكن اين هذه النقائص ممَّا كتبهُ في حقهِ مكاتب المقتطف اذ شنَّع عليهِ فقال (ص ٢٨) : « لم يكن الملك منطوراً على ما يقرّبهُ من رعيّتهِ من الاخلاق فقد كان . . . اخرق الرأي عنيداً في الصغائر جافياً يهلع فؤادهُ لذكر الثورة وكانت معاملتهُ لزوجتهِ سيئة . . . ولم يكن كريم الاخلاق » . فكل هذه الاوصاف تنافي الحقيقة بوجه مستقيم ولو اتينا بالشواهد على نقضها لما كفى كتاب ضخم ليجمعها كلها . ومن اعمال هذا الملك الشهيرة انهُ كفَّ استعمال العقوبة لدفع المجرمين على الاقرار بالحقيقة وأبطل بقايا الرقّ والعبوديَّة في مملكتهِ وابتنى المستشفيات وجعل لكل مريض فيها فراشاً منفرداً واكثر من الصدقات لذوي البأساء والحاجات وأنشأ الشركات الخيريَّة لمساعدة الفَعَلة وفي شتاء سنة ١٧٧٦ لمَّا اشتدَّ البرد القارس أوقد النيران في ساحات باريس وشوارعها العموميَّة ليصطلي بها الفقراء الى غير ذلك من الاعمال الخطيرة التي شُحنت بها كتب التاريخ ولم تَفُتْ احداً الَّا جناب خليل افندي ثابت

وما قلناهُ عن الملك لويس السادس عشر قُلهُ عن قرينتهِ ماري انتوانت فانَّ ائمَّة المؤرخين الصادقين كدي بوشان (de Bauchesne) ودي غنكور (de Goncourt) ودي فالو (de Falloux) وايمبرت (Imbert) وبيره (Biré) اخذوا عليها ميلها الى الملاهي ونسبوا اليها خفة الطباع ولكنهم جميعاً يطنبون في محامدها وخصوصاً في لطفها ورقَّة طباعها وعدلها وكرمها ويثنون على تقواها وصدق ديانتها وحبها لفرنسة وطنها

الثاني. اماً شجاعتها فبلغت الغاية القصوى اذ تحمَّلت بصبر جميل كلَّ المِحن التي أحدقت بها وماتت ميتة الابطال كزوجها الملك وكلاهما يغفر بطيب القلب لرجال الثورة اعدائهما

هذا ما قرأناهُ في كل التواريخ حتى في تآليف المعادين للويس السادس عشر وقرينتهِ. فانْ كان المقتطف او مكاتبوهُ وجدوا في زوايا المكاتب ما ينافي ذلك فليعلمونا بهِ ونحن لا نأبى ان نبحث عن صحَّتهِ ومعاذ الله ان نحاكمهم في الباطل او نكابر الحقَّ لنا او علينا

دعنا الآن نعود الى جامين الحدَّاد وما ادَّعاهُ كاتب مقالة المقتطف من خيانة لويس السادس عشر لمملكتهِ وتسميم هذا الملك لجامين المذكور متفقاً في ذلك مع قرينته ماري انتونت . فنقول ان في هذه القضيَّة ثلاثة امور : (الاول) اصطناع خزانة سرّيَّة في قصر التويلري اودع فيها لويس السادس عشر اوراقاً ورسائل مهمَّة . (الثاني) كون هذه الرسائل تبيّن خيانة الملك لويس لمملكتهِ واستدعاءهُ للالمانيين والنمسويين لغزو فرنسة . (الثالث) تسميم الملك والملكة لجامين

اعلم انَّ (الامر الاول) لا خلاف فيهِ فانَّ الملك لويس السادس عشر اصطنع لهُ سفطاً من الحديد (armoire de fer) اودعهُ اوراقهُ السرّيَّة واستعان بحداد اسمهُ جامين ليجعل هذا السفط في خزانة في احد جدران قصرهِ بحيث لا يطلع عليهِ بشر . وفي كل ذلك لا حرج على الملك فانَّ لكل الملوك اسراراً يخفونها عن الغير لاسيما في ساعة الفتن والثورات لئلا يعبث بها اعداء الدولة . الَّا انَّ لويس السادس عشر خُدع بجامين فكان يظنُّهُ خلاً وفيّاً ولم يكن الَّا صلاخنياً يطلب لسيدهِ الموت وحياً . وقد اقرَّ كاتب المقالة بذلك (ص ٢٨) حيث قال بتلطيف العبارة : انَّ جامين « كان رجلاً فظَّ الطباع غليظاً لا يميل الى الملك رغماً عن خدمتهِ الطويلة لهُ » وانهُ « كان جمهوريّاً لم يخشَ المجاهرة بآرائهِ » وانهُ طاوع الملك في عمل السفط « رغماً عن شدَّة ترعتهِ الجمهوريَّة وعدم احترامهِ للملكيَّة (١ »

١) كان جامين كتب فوق حانوت حدادتهِ هذين البيتين وفيهما شاهد جلي على سوء اخلاقهِ وشراسة طباعهِ وشدة بغضهِ للملوك :

Tyrans, tremblez que la foudre
Bientôt ne vous réduise en poudre.

امَّا (الامر الثاني) وهو انَّ سفط الحديد ضمَّنَهُ الملك لويس السادس عشر رسائل واوراقاً تنبئ بخيانتهِ لمملكتهِ واستدعائهِ الالمانيين والنمسويين لغزو فرنسة فهو قول كاذب لا صحة لهُ البتة . والدليل على ذلك انَّ اعداء الملك بعد ان حبسوهُ في سجن التمپل مع كلّ اسرتهِ ودلَّهم جامين على سفط الحديد واطَّلعوا على كل اسرار الملك لم يجدوا ما كانوا يتوقَّعون من الشواهد ليتمكَّنوا من قتلهِ قتلًا شرعيًّا ولذلك صرخ دانتون الدُّ اعداء لويس السادس عشر : « لا نريد محاكمة الملك بل قتلهُ »

وهنا فليأذن لنا جناب الناظر ان ننسخ لهُ فقرة ألحقها المقتطف بمقالتهِ (ص ٣٤) تفنّد زعمهُ . قال المقتطف :

« فصَّل المؤرخ أليسون الذي كتب تاريخهُ سنة ١٨٣٣ هذه الحادثة نقلًا عن مُنيه ولاكراتل وتيرس الذين كتبوا بُعَيد الثورة فقال ان الملك رضي بمحاربة النمسا والمانية مكرهًا (من وزرائهِ) وعلم انَّ شعبهُ سيطالبهُ بذلك بعد انقضاء الحرب ولاسيما اذا عادت عليهم بالخسران فكتب آراءهُ ضدّ الحربّ وجعل وزراءهُ كلهم يمضونها ووضعها في هذه الخزانة ووضع معها كلّ الاوراق الرسمية التي يحسب انَّها تبرئهُ من كلّ تهمة اذا سيق الى المحاكمة كما كان يتوقَّع فافشى هذا الحدَّاد (جامين) سرَّهُ وفُتحت الخزانة فلم يوجد فيها شيء يثبت عليهِ الخيانة لبلادهِ بل بالضدّ من ذلك وُجدت فيها اوراق تدل على اتفاق وزرائهِ معهُ في كلّ اعمالهِ . وقد اذاع وزيرهُ رولان سرّ هذا (كذا) الاوراق حاسبًا انَّ الملك يتبرَّأ باذاعتها فكانت سببًا لهلاكهِ »

فهذا كلام مؤرخ منصف صادق عليهِ المقتطف . ولكن أما كان الاحرى بصاحب هذه المجلة ألّا ينشر مقالة صديقهِ خليل افندي ثابت وهو يعرف انها كذب محض لا صحة لها . فليعرف القرَّاء من هذا التناقض حسن مبادئ المقتطف وحرصهُ على الحقيقة

بقي (الامر الثالث) وهو تسميم الملك لويس السادس عشر وقرينتهِ ماري انطونت للحداد جامين لئلا يُطلع هذا احدًا على سرّ الخزانة وسفط الحديد . ولكن هل بقي لاحد شبهة في هذا الصدد بعد أن وقفنا على صدق لهجة كاتب المقتطف وسعة معارفهِ التاريخيَّة . وان كانت الخزانة السريَّة لم تتضمَّن شيئًا ينبئ بخيانة الملك كما سبق فيا ترى ما الحاجة للملك ولقرينتهِ الى تسميم جامين وهما يعدَّانهِ عبدًا امينًا ولم يستخدماهُ في عمل سيّئ يوجب عليهما ملامًا

ثمَّ ايُّ صاحب عقل يصدّق مثل هذه الحكاية ويفتي بصحّتها مع ما نعلم من شهامة طباع الملك لويس وقرينتهِ وما خصَّهما الله بهِ من جودة الاخلاق الشريفة والفضل

السامي الذي يقرّ لهُ اعداؤهما. او كيف خطر على بالهما ان يسمّا رجلاً يكون موتهُ اقوى حجّة على قتلهما في ساعة كان اهل الثورة يطلبون لذلك سبباً خفيفاً دون ان يجدوه. ولو ارادا قتلهُ لفعلا ذلك خفية بيد احد الخدم او الجند ولم يدعا جامين يخرج من القصر بعد تسميمه بسمّ ذعاف

وان قيل انّ جامين ادّعى انهما سمّاه. اجبنا انّ دعوى رجل واحد لا تقبل في ايّ شريعة كانت فما قولنا في شكاية رجل اقرّ كاتب المقتطف بقبائحه وشراسة اخلاقه وخيانته لمليكه

ثمّ انهُ لامر معلوم انّ جامين لم يتظلّم من تسميم الملك والملكة لهُ الّا بعد قتلهما بستّة اشهر فما لهُ سكت عن هذه النظيمة لاوّل مرّة بعد ان كشف سرّ سقط الحديد اذ كان لويس وقرينتهُ في الحبس. أفلا يظهر من سكوته قبل وفاتهما انّ شكايتهُ محض اختلاق لا وجه لها من الصحة وانّما اراد فقط ان يكتسب راتباً سنوياً يعيش به

واغرب من ذلك انّ الكتبة اعداء لويس السادس لم يجسروا حتى بعيد هذه السعاية ان يدوّنوا خبر تسميم جامين في كتبهم لعلمهم بكذبه فبقي السرّ مكتوماً حتى اطّلع عليه « في مجلة انكليزيّة » الكاتب المجيد خليل افندي ثابت فزيّن به صفحات المقتطف

فيا لله من مؤرخين مدقّقين لا يخجلون ان ينقلوا الى شرقنا العزيز كلّ اكاذيب البلاد الغربيّة وهم يزعمون انّهم يبعثون بيننا النور ويهذبون الاخلاق وليسوا في الحقيقة الّا مفترين وللفساد ناشرين

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم خطّار الدحداح

٣ شباب الكونت دحداح الى سنة زيجته

رُشيد موضوع كلامنا في هذه المقالة هو ابن الشيخ غالب ابن الشيخ سلّوم(١

---

١) قد مرَّ في المشرق ذكر الشيخ سلوم بن موسى بن يوسف سليل الكهنة السبعة الذين منهم آل الدحداح. وخلّف سلوم ثلاثة اولاد وهم منصور (راجع المشرق ص ٣٩٢) وبشير الذي توفي سنة ١٨٣٩ عن ولدين ماتا دون عقب. وغالب ابي الكونت وقد توفي سنة ١٨٤٠

الدحداح. وُلد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان في دار جدّهِ سلوم التي ورثها عنهُ ابوهُ وعمّهُ بشير وموقعها اسفل قرية عرامون بالقرب من الجُدَيدة وامامها ميدان واسع كبير حسب العادة المرعيَّة حينئذٍ في دور الامراء والشيوخ. وفي هذه الدار وُلد لغالب بعد رشيد ابنهِ البكر خمسة اولاد وابنة واحدة وهذه اسماؤهم: خليل وعبَّاس وسلوم ووراحيل وامين ونقولا

وقد احسن والدا رشيد تربيتهُ وكان الشيخ والدهُ مشهورًا بحسن تهذيبهِ لبنيهِ وشدَّة حرصهِ على آدابهم يؤثر العنف بهم على اللين والتراخي. وقد سلَّم اولادهُ الثلاثة الكبار اعني رشيد وخليل وعبَّاس الى شمَّاس من جيرتهِ يدعى الشمَّاس نهرا مراد (١ فاحسن هذا تهذيبهم وربَّاهم على حب الدين والفضيلة ونشَّطهم على اتباع مبادئ الشهامة الغريزيَّة في دمائهم. ولمَّا بلغوا السنّ الموافقة لدخول المدارس أُرسل رشيد الى مدرسة عين ورقة الشهيرة مع اخيهِ خليل. امَّا عبَّاس فأُرسل الى مدرسة انتشار الايمان في رومية

فبقي رشيد بضع سنوات في عين ورقة تعلم باثنائها اصول اللغة العربيَّة وفروعها واللغة الايطاليَّة ودرس الفلسفة والعلوم وبعد ان حاز قصب السبق على جميع اقرانهِ متفرّدًا بينهم بحسن ذكائهِ وتوقّد ذهنهِ دخل مدرسة سيدة بزمَّار للارمن الكاثوليك فدرس فيها اللغة التركيَّة وبرع فيها. وكان شابًّا فصيحًا رزينًا عاقلًا

وفي سنة ١٨٣٨ قرَّبهُ اليهِ الامير امين ابن الامير بشير وعيَّنهُ في ديوان ابيهِ في بيت الدين كاتبًا لاسرارهِ. فقضى في هذه الخدمة سنتين او ثلاثة اشهر في خلالها ببراعتهِ وحذقهِ وامانتهِ فنال حظوةً ومكانةً في عين مولاهُ. وبعد نفي الامير عاد الى بيتهِ في عرامون. ثمَّ ذهب في معيَّة عمهِ منصور برجال الفتوح لنجدة الحاكم الجديد الامير بشير ملحم ومطاردة جيش ابرهيم باشا (كما سبق القول) فوصلوا الى البقاع ومن هناك عادوا الى بيت الدين. ثمَّ رجع الى بيتهِ ولم يقبل مأموريَّة ما. ولمَّا تعيَّن عمر باشا سنة ١٨٤٢ بدلًا من الامير بشير المذكور قرَّب اليهِ الشيخ رشيد وعرض عليهِ مأموريَّة فأبى. ثمَّ رضي

١) وهو الذي تعلَّم الخط عند الشيخ مرعي الدحداح وتقيَّد بخدمتهِ. وفيما بعد اضطهدهُ الامير بشير الكبير بسبب الشيخ مرعي. ففرَّ من وجه الامير ودخل في مصاف الاكليروس نصار كاهنًا ثمَّ اسقفًا تحت اسم المطران نقولا مراد. وتوفي في رومية سنة ١٨٦٥

ان يتولَّى نظارة الكاليك اي الاملاك الاميريَّة في لبنان. وقد حصل وقتئذٍ من المسائل والاسباب ما دفعهُ الى ترك وظيفتهِ والرجوع الى موطنهِ حيث اقام زمنًا غير مديد

وفي تلك الاثناء. قبض اعداؤهُ على رسوله يوسف الكريماتي الغدراسي وسلبوه التحارير التي كان يحملها من الشيخ الى المثلَّث الرحمات البطريرك يوسف بطرس حبيش. فكان ما كان من نزول رُشيد الى غزير بسبعة من اقاربهِ المشايخ (١ وخمسين رجلاً من اهالي عرامون. وانفراده بالبعض منهم لملاحقة الاعداء حيث خلَّص منهم الرسول وجميع التحارير التي سلبوها. ثم توارى مع ذويه في الوديان والاماكن غير المأهولة. وقد حدث مع اقاربهِ ورفقائهم في غزير ما تغني شهرتهُ الستَّة عن ذكرهِ في هذا المقام. فنجتزئ بالتلميح الى ان هــذه الحادثة كانت العامل الاكبر لسفرهِ من هذه البلاد وبقائهِ في دار الغربة مدى العمر. فضلاً عن تشتُّت شمل اخوته وعموم المشايخ اقاربه

وكان بين هذه الحادثة وسفر رُشيد الى اوربة فترة ثلاث سنوات قضاها مختبئًا في مجاهل لبنان او في صيــداء بخان الافرنج عند المسيو كوتي قنصل فرنسة. ومن جملة نوادرهِ في تلك الازمنة انهُ خرج من مخبإِهِ في لبنان واتى قرية بتاتر واتفق مع المسيو نقولا بورتاليس على ان يدفع ذوي مناصب لبنان من امراء ومشايخ دروز وموارنة الى الاجتماع وانتخاب حاكم لبناني. فلبَّى الجميع نداءهُ واجتمعوا في الديرج وانتخبوا الامير اسعد قعــدان (٢ الذي اصدر الامر إيذانًا بانتخابهِ. والشيخ هو محرِّر هذا الامر كما حرَّر ايضًا صكّ اتحـاد الامراء والمشايخ من الطائفتين. ثم حضر مع الامير اسعد قعــدان الى عاليه حيث احتفى بلقائهما مشايخ تلحوق. وقد تعيَّن حينئذٍ رُشيد كتخدا الامير او مدير اعمالهِ (تشرين الثاني ١٨٤٣). لكن عمر باشا لم يقبل بذلك. وفي ٢٠ كانون الاول من تلك السنة تفرَّق شملهم. ففرَّ الشيخ رشيد الى صيداء حيث بقي سنتــين انصبَّ في خلالها على درس الشريعة والفقه على مذهب ابي حنيفة. ثم استحضرهُ قنصل فرنسة في بيروت واعاده الى لبنان مشترطًا عليــهِ عدم التعرُّض للامور. وقد تداخلت سفارة فرنسة بنــاء على طلب مجمع انتشار الايمــان فسعى

١) وهم خليل وسلوم (اخواهُ) وزعيتر وطنوس وبولس وسعد ويوسف بن امين

٢) والد الامير افندي شهاب المتوفَّى مؤخرًا في رئاسة مجلس ادارة لبنان

القنصل بتسوية الخلاف ومساعدة رشيد واقاربهِ

وفي نهاية تلك السنة عاد من مرسيلية الشيخ مرعي الدحداح زائرًا الوطن بعد تغيّبهِ عشرين عاماً عنهُ. ولمّا كان لأخبار الشيخ رشيد علاقة بالشيخ مرعي احببنا ان نذكر لمعة من ترجمة هذا الاخير اقول:

ان الشيخ مرعي كان ابتدأ بصفة كاتب عند الامير حسن (١ في غزير ثم وكيلًا على مشايخ الكورة. ثم مدبّرًا عند الامير قاسم (٢ الذي خلف الامير حسن في غزير من ١٨٠٨ الى ١٨٢٠ حيث اضطر الامير بشير للسفر ثانيةً الى مصر. فبقي الامير قاسم في لبنان واتفق مع خصم ابيهِ الامير عبّاس الذي اتخذ الشيخ مرعي كتخدا عندهُ في بيت الدين. فلمّا رجع الامير بشير عزل ولدهُ الامير قاسم واقام بدلًا منهُ في غزير الامير عبد الله ابن اخيهِ الامير حسن وامرهُ بسجن الشيخ مرعي فسجنهُ. وقد تمكّن هـذا من الفرار واتفق مع الشيخ بشير جنبلاط (٣ وحزّب لهُ قسماً من عائلتهِ واتاهُ برجال الفتوح مجدّدةً في « قومة المختارة ». فكان من امرهم ما كان من فرار الشيخ بشير ورؤساء احزابهِ الى جهات مختلفة بعد فشل اقوامهِ في السمقانيّة وبعقلين والمختارة

امّا الشيخ مرعي ففرَّ الى داخليّة البلاد العثمانيّة. فالقي القبض في حماة عليهِ وعلى ابن عمهِ جهجاه. ولكن انقذهما هناك المرحوم مخايل نصور كاتب المتسلّم ومدبّر اعمالهِ فانهُ ابقاهما في بيتهِ ضيفين كريمين مدةً ثمَّ اذن لهما بالانصراف الى حلب حسب رغبتهما وبواسطتهِ تمكّن مرعي من الدخول في محل المسيو بيتشوتو اليهودي قنصل دولة اوستريا في حلب. وبعد حين لمّا رآهُ بيتشوتو خائفاً على نفسهِ حتى في حلب من سطوة الامير بشير وقد امتحن خبرتهُ وذكاءهُ وسموَّ مداركهِ ارسلهُ الى مرسيلية ليكون في محلهِ التجاري هناك

وبعد مدَّة ارسل مرعي يستدعي الى مرسيلية زوجتهُ واولادهُ فسافرت سنة ١٨٣٤ مع اولادها. وقد بقي مرعي من ١٨٢٥ الى ١٨٤٥ في مرسيلية حيث فتح لحسابهِ محلًا

---

١) وهو اخو الامير بشير الكبير

٢) بكر انجال الامير بشير الكبير

٣) وكانت وقتئذٍ انقطعت علائقهُ مع الامير بشير الكبير

تجاريًّا بعد اقامتهِ مدة وجيزة في محل بيتشوتو. ولبث محافظًا على عوائد جبل لبنان في ملبوسهِ وزيّهِ الشرقيّ. ولم يكن ذلك ليحطّ من شأنهِ بل زادهُ اعتبارًا في اعين الاجانب

وقد كان لهُ مقام رفيع عندهم نظرًا الى ما عرفوهُ عن وجاهة عائلتهِ وشأنهِ الخطير في امور لبنان. ولما وقعت مسألة ١٨٤٠ في الشرق استدعاهُ الملك لويس فيليب الى باريس وقابلهُ مرارًا عديدة هو ورئيس وزرائهِ المسيو تيارس الشهير ليستطلعا رأيهُ ويعرفا الحقيقة عن تلك الاحوال

وبعد ان سقط الامير بشير وزالت سلطتهُ عن لبنان وتأكّد ان لا خوف منهُ بعد اغتنم الفرصة التي طالما حنَّت اليها نفسهُ وجاء سوريَّة لمشاهدة الاوطان والاهل والخلان. فاقام مدَّة وجيزة متمتّعًا بالوطن المحبوب بعد يأسهِ. ولمَّا عزم على العود الى مرسيلية حيث كان قد ترك عائلتهُ وتجارتهُ استصحب معهُ الشيخ رُشيد لانهُ توسَّم خيرًا مما رأى فيهِ من الذكاء والغيرة والاقدام والحكمة وسعة المعارف وثبت لهُ ان سوريَّة ولبنان لم يعودا يصلحان لاقامتهِ فيهما. فسافر الشيخان في اواخر ١٨٤٥ الى فرنسة. فوصلا مرسيلية وتعيَّن رشيد كاتبًا في محلّ الشيخ مرعي ولم يبعد من ذلك الحين الى وطنهِ. امَّا الشيخ مرعي فانهُ عاد الى لبنان ثانية في ١٨٥٩ مع كل عائلتهِ ما عدا احد اولادهِ ابقاه في مرسيلية ليدير اشغالهُ. وتوفي في الكفور ١٨٦٨ ودُفن في مدفن اجدادهِ بكنيسة الكفور تاركًا ثلاثة اولاد ذكور وابنة (١

اما رُشيد فقد اقترن بمرتا ابنة مرعي وفي سنة ١٨٥٢ ترك محلّ عمهِ وادار اشغالًا تجاريَّة في فرنسة لحسابهِ. ثمَّ انشأ محلًّا في انكلترة واستدعى اليهِ اخاهُ سلومًا ليساعدهُ في اعمالهِ وكان رغمًا عن اشغالهِ التجاريَّة يتعاطى العلوم ويخدم الآداب والمعارف فطبع سنة ١٨٤٩ « قاموس المطران جرمانوس فرحات في مرسيلية بعد ان رتَّبهُ وهذَّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ وذلك بمعاونة المرحوم سمعان شقيق امرأتهِ. فاطنب في مديحهِ المجمع العلميّ الفرنساوي L'Académie واحسن صلتهُ

١) يوسف (١٨١٢–١٨٩١) هو والد عزتلو اسكندر بك الدحداح – والياس (١٨١٧) وهو لم يزل حيًّا – ولويس (١٨٣٦ – ١٨٩٠) – اما الابنة فهي مرتا قرينة الكونت رشيد موضوع المقالة (١٨٢٣–١٩٠٠). واما اخوهم سمعان المحكي عنهُ في هذه المقالة بمساعدتهِ الكونت رشيد في طبع قاموس المطران فقد كان توفي سنة ١٨٥٣ قبل وفاة والدهِ

وانشأ فرعاً لمحله التجاري في بيروت سلّمهُ الى اخيهِ خليل. وقد تكلّلت اعمالهُ بالفوز والنجاح حتى سنة ١٨٥٧ التي حدثت فيها مسألة سقوط الحرير الهائلة فنزلت به الى الحضيض وكان وقتئذٍ في انكلترة. فعاد للحال بعائلتهِ الى باريس واخذ يسعى ويجتهد لتعويض ما ذهبت بهِ الاقدار (ستأتي البقية)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٧

كانت البترون في غابر الايام مدينة عامرة بالسكان قائمةً حول جون صغير ترسو فيهِ السفن. وكانت تشبه مدن القرون المتوسطة بازقتها الضيقة واسواقها المسقوفة وازدحام المنازل حول القلعة وهي دار المقدم. وقد اقامت على طول الساحل عدداً من ابراج المحافظة وشيدت في السهل المجاور لها جملة قلاع حصينة حتى صارت مفتاحاً من مفاتيح لبنان الشمالي

ففي ذات يوم من شهر ايلول بينما كانت الشمس ترسل اشعّةً حاميةً على قصر المقدم زين شوهدت في احدى الغرف المطلّة على البحر امرأتان متشاغلتان بالغزل وهما صامتتان

وكان بعد قليل أنَّ الصغيرة توقّفت عن الغزل وقطعت خيط الصمت وخاطبت رفيقتها قائلةً: ألاحظتِ يا مريم مولاتنا راحيل ؟

— ما معنى هذا السؤال؟ فانا نظيركِ أراها كل يوم وانت تعلمين مثلي حسن خصالها ورفقها بجميع المتقيدين بخدمتها

— لم تفهمي يامريم مغزى كلامي. ألم تلحظي كيف انَّ أمائر الغم والنكد قد لاحت من بضعة ايام على وجهها

— ولماذا تغتمّ وهي صبيّة جميلة تملك ثروة واسعة وقد اظهرت من الحلم والرفق وسائر الخلال ما جعلها دانيةً من قلوب الكل في هذه المدينة التي اجمع اهلها على

احترامها ومحبتها. وفوق هذا كله قد رزقها الله غلاماً ذكراً يرث عهد ابيهِ زين والجميع في البترون يدعون لها بان تُرزق مع سلامة نجلها اولاداً آخرين عديدين تحيا فيهم فضائل القدماء من مقدّمي البترون ومحامد البارونات من اسرة لبرباك

نعم انَّ وفاة والدها التي عرضت في الاشهر الاولى لزواجها قد احزنت فؤادها وادخلت عليهِ الغمَّ الشديد. غير انَّ من كانت مثلها وافرة العقل ومتعلقة بالمبادئ المسيحيَّة لا تستسلم الى الحزن البليغ من جراء رزء قد طالما انذرتها بهِ شيخوخة والدها وأسقامه الكثيرة. وفضلاً عن هذا كله قد اتت بشقيقتها فهي عندها دائماً تتعزَّى بها وتتسلى بمشاهدتها عن فقد والدها

— الله يسمع منكِ يا مريم. ولكني ارى انَّ مولانا المقدَّم زين قد غيَّر سلوكهُ منذ مدَّة مع عروسه لانهُ منذ وطئت حنَّة شقيقتها عتبة القصر قلَّ انعطافهُ الى زوجتهِ وتحوَّلت محبتهُ بكليَّتها الى أختها المذكورة

— انَّ هذا الانعطاف هو طبيعي وهو من قبيل الشفقة على ابنة صبيَّة تيتَّمت في السادسة عشرة من عمرها ولم يبقَ من عاضدٍ ولا معين سواهُ فحملهُ الحنوّ على ان يأتي بها الى قصرهِ

— سمّي هذا الميل حنوًّا او شفقةً ما شئتِ. نعم لا يبعد انهُ كان في اوَّل الامر كما قلتِ ولكنَّهُ انضاف اليهِ بعد ذلك عاطفة أُخرى. وعلى كل حال فانَّ اهتمام زين بامر اليتيمة لم يكن يجب ان يُنسيهُ واجباتهِ نحو قرينتهِ. وبناء عليهِ فانا اكرّر عليكِ القول انهُ منذ دخول حنَّة على القصر قد جرى فيهِ تغيير مهمّ

— أرى انكِ يا فريدة تفتحين عينيكِ للنظر الى ما لا يعنيكِ وتكثرين من الكلام الهراء الذي لا يليق بصبيَّة في سنّكِ لاسيما بمن هي خادمة نظيركِ. ألا تعلمين انهُ يجب علينا ان نغمض اعيننا على كل شيء. بل ان نكون عمياناً لا نرى وصمًّا لا نسمع وبكماً لا نتكلَّم؟ وبعد هذا وهذا لا يصح الحكم على ظواهر الاشياء. لأنها خدَّاعة مضلّة ولعلَّ ما لاحظتِهِ هو ناتج عن الملالة والسأم من هناء العيش لانَّ طول السعادة يورث الضجر كالشقاء. ولذلك اكرّر عليكِ المقال انَّ مولاتنا في راحة ونعيم

— اتمنَّى لها من كلّ قلبي ان تكون سعيدةً منعَّمةً لانها من فُضليات النساء. ولكن لا اظن اني على غرور. أما لاحظتِ كيف انَّ زيناً يكثر من البشاشة لحنَّة والحفاوة بها

ويجلس الساعات الطويلة متأملاً في الغزالة التي تلهو بها وكيف يقول لها انها تشبه هذا الحيوان الشفيق في رقّتها ودماثتها ؟ وكان قبلاً لا يمضي يوم دون ان يخرج مع قرينته متنزهاً على الخيل ويحب ان يشاهدها راكبة حصانها وهو يمرج تحتها كأنهُ يفتخر بمن علت ظهرهُ والآن قد اجتنب ذلك كلهُ وصار يقضي اياماً بكاملها يسمع ثرثرة صبيّة في السادسة عشرة من سنها

— صدقتِ يا فريدة ولكن ما العمل والرجال لا يثبتون على حال . ومع كل هذا فاني لا ارى في ما سردت من الامور شيئاً يوجب القلق والاضطراب

— اسمحي لي اذا ان اذكّرك باسر آخر واسألك ان تصيخي الى قولي سمعاً : اما تعهد المقدم زين لما حضرت حنّة الى هنا بان يبحث لهذه الصبيّة اليتيمة عن شاب مهذب يزوّجها به في اقرب فرصة . والآن كلما سألتهُ مولاتنا ان يعجل القيام بعهده يجاوبها انهُ لا شيء يوجب الاسراع ومع ذلك فانَّ مولاتنا لا تظهر نفوراً منهُ بل هي مقيمة على محبتهِ وتأييد ودادها الصحيح لهُ . ومعاذ الله ان اشتبه في فضيلة شقيقتها حنة او القي عليها تبعة الحال التي صارت اليها مولاتنا لاني ما شاهدتها قط تتكلّم مع صهرها زين الّا منخفضة النظر فضلاً عن انها لا تسعى اليهِ اذا لم يطلبها ولا تجرّئهُ بشيء من اقوالها او حركاتها

— انها ابنة طاهرة لا تعرف ما هو الشرّ

— صدقتِ ولكن ما هو الداعي لغياب المقدَّم زين كل هذه المدّة الطويلة ؟ فقد زعم انهُ ذاهب الى بشراي اجابة لدعوة المقدَّم رزق الله واكّد انهُ يعود بعد ايام قليلة وها قد مضى عليهِ الآن شهر من الزمان دون ان يرسل خبراً فكيف لا نحسب سلوكهُ هذا قلة اكتراث بقرينته

— لعلّ اموراً غير منتظرة استدعت بقاءهُ في بشرّاي رغماً عن ارادته . ولا يخفاكِ انَّ الاحوال في شرقي لبنان ليست على ما يرام من السكينة لان عصابات العرب والتركمان والنصيريّة غزت في هذه الاثناء دير مار يعقوب وسلبت كل ما يخصُّهُ من الماشية وحاصرت الرهبان اياماً . ثم انَّ مقدَّم جبيل لا يزال يدعي بلكيّة قلعتَي معاد وسماد جبيل مع انهما من قديم الزمان تابعتان لمقدميَّة البترون . وبناء عليهِ ترين انَّ الاسباب التي

تستدعي طول غياب مولاناكثيرة ومن يُدرينا الآن هل يخوض غمرات القتال في المنيطرة او في البقاع . . .

— وبينا المرأتان المذكورتان في هذا الحديث وصلت مولاتهما فقطعتا الكلام وكانت طويلة القامة جميلة المحيّا زرقاء العينين يدلّ ظاهرها على ما تجمّلت به من كرم الخلال وسلامة الطويّة فكان من الصعب على مَن ينظر اليها ان لا يشعر بانجذاب قلبه الى ظرفها المقرون بما لا مزيد عليه من اللطف والايناس . واذ ذاك قالت للمرأتين اللتين في خدمتها :

— في عزمي ان ازور دير القديس جرجس في الحيراء في بلاد الحصن حتى يمن الله عليّ بواسطة شفاعته بان يعود زوجي بالسلامة من سفرته وبما ان غيبتي تطول بضعة ايام قصدت اخباركما حتى تلازم كلّ واحدة عملها . ثمّ اتبعت ذلك بكلمة الوداع التي نطقت بها مصحوبة بالابتسام اللطيف على عادتها . امّا المرأتان فاخذتا تنظران احداهما الى الاخرى متعجبتين وكلّ واحدة تقول في نفسها : اذا جاوزت الحدّ المرسوم لي وما يدريني هل كانت زيارة مولاتي بمنزلة تنبيه لي على وجوب حفظ لساني . وما هو الغرض يا ترى من هذه الزيارة البعيدة ؟ وكيف عزمت مولاتنا على اقتحام اخطار هذا السفر الطويل ؟

كانت هذه الافكار تتردّد في اذهانهما سرًّا وقد عزمت كل واحدة من الآن فصاعدًا على ان لا تتورّط في حديث قد يكون ان يجرّ عليها وبالًا

وكانت كنيسة القديس جرجس بالقرب من قلعة الحصن مكرّمة وتعتبر في سوريّة غاية الاكرام وكان قد انتشر بين الناس خبر العين الدوريّة التي اشتهرت ايضًا في أيّام الفينيقيين وذاع عندهم امر الدير الكبير الذي يخصّ الملكيين ويُحسب من اعظم الاديار في جبل اللكام (٢ فكان الجميع في بلاد عكّار وشمالي لبنان يقصدونهُ من كل فجّ وصوب وخصوصًا في أيّام السوق الكبيرة التي كانت تقام هناك في يوم عيد الصليب وكان يجتمع عدد غفير من الزوّار من كل امّة ونحلة

وعليه فلم يكن احد من الناس يستغرب هذه الزيارة الّا الخادمتين المتقدم ذكرهما تعجّبتا من إقدام مولاتهما عليها

١) ياقوت , رحلة سوريّة لدوسو ٢) سفرنامه لناصري خسرو

ولمّا دخلت راحيل الى مخدعها خرّت ساجدةً امام المصلوب وهتفت قائلةً: « ربّي وإلهي اعضدني وساعدني فانك عالم بطهارة نيّتي. قوّني على اجتياز هذه المحنة وضع في شفاه عبدك الكلام الذي يردّ السلام الى نفسي »

ثمَّ أنها تقدَّمت الى سرير فيهِ طفل رضيع لم يمضِ عليهِ غير سنة واحدة من العمر فقبَّلت جبينهُ قائلة: « نَمْ يا حبيبي بهناء. والله اسأل ان تستمرَّ جاهلاً الاحزان التي تعذّب قلب والدتك »

. . . .

وفي بدء الليل عند العشاء تقريباً خرج من البترون خيّالان وذهبا في طريق طرابلس وكان اكبرهما قد ستر كل وجههِ بكوفيَّة كبيرة من الحرير واشتمل ببرنس عريض وركب فرساً من جياد الخيل عليها سرج من المخمل الاحمر

واما الثاني فكان احطَّ مقاماً يجاوب بكل احترام على اسئلة رفيقهِ وكان الاثنان يوسعان الخطى فلمّا وصلا على مساواة طرابلس عند قبة الشيخ البدّاوي غيّرا فوراً طريقهما وتغلغلا في جبل عكّار (ستأتي البقيَّة)

اكرم مثال في القديس يوحنا دي لاسال

للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٢٤ أيار من السنة المنصرمة نال القديس يوحنّا دي لاسال منشئ جمعيَّة المدارس المسيحيَّة اعظم مجد يمكن البشر ان يفوزوا بهِ في هذا العالم فان قداسة البابا لاون الثالث عشر بعد الفحص القانوني عن سموّ فضائلهِ وبيان معجزاتهِ الباهرة خوَّلهُ المقام الذي هو مختصّ باولياء الله ونظم اسمهُ في سجلّ القديسين وقدَّم لهُ الاكرام الجدير بشأنهِ واقام لهُ في رومية العظمى اعياداً بهيجة دامت ثلاثة ايام عُرضت فيها ذخائر ولي الله وصورهُ لتكريم المؤمنين القادمين من اربع خوافق المعمور ثمَّ تكرَّرت هذه الاعياد في كل الانحاء والاقطار حيثما حلَّ ابناء هذا القديس الجليل اعني في اكثر مدن العالم المتمدّن. وفي آخر هذا الاسبوع تحظى مدينتنا بيروت بمثل هذه الحفلات الشائقة ويسمع المؤمنون اطيب الثناء على قديس عظيم لم يكتفِ بان يخدم ربَّهُ خدمةً نصوحاً بل

خلّف بعدهُ سلالةً من ابنائهِ ورثواعنهُ روحهُ الصالح وغيرتهُ المتقدة وتفانيهُ في سبيل الفقراء وتهذيب الاحداث وتعلّقهُ غير المنفصم بالكرسي الرسولي. فرأينا نحن ايضًا ان ننتهز هذه الفرصة لنذكر بوجيز الكلام اعمال هذا القديس ونشير الى شيء من فضلهِ الاثيل الذي استحقّ لهُ هذا المنصب السامي في كنيسة الله

*

في اليوم ٣٠ من شهر نيسان من سنة ١٦٥١ كنت ترى أُسرة من اعيان مدينة ريمس في فرنسة تدعى دي لاسال تألَّبت في كنيسة القديس هيلاريوس لتنصّر بالعماد ولدًا صغيرًا كان بكرَ والديهِ أنعم الله بهِ عليهما في ذلك النهار عينهِ فدعواهُ باسم صابغ الرب يوحنا المعمدان كأنّ الله اوحى اليهما انّ هذا الصغير سوف يكون يومًا عظيمًا امام وجههِ ويرشد اقدام شعبهِ الى سبيل السلامة

وقد شعر والداهُ التقيّان بمظم هذه المنّة التي اتاحها الله لهما فقاما بتربيتهِ احسن قيام. وخصوصًا امّهُ الصالحة فانّها اعدّتهُ وديعة ائتمنها الله عليها فغرست في قلبهِ بذور الورع والتقى منذ نعومة اظفارهِ. وممّا يخبر عنها انها كانت اذا سمعت طفلها يستهل بالبكاء في مهدهِ تقرّب الى شفتيهِ صورة المصلوب فيسكت للحال وربّما تضع بين يديهِ الصغيرتين سُبحة العذراء فيكفّ الولد عن البكاء ويبسم وجههُ فرحًا. وحين قوي لسانهُ على الكلام كان اسم يسوع اول لهجة خرجت من فيهِ

ولمّا ترعرع الفتى جعل العبادة دأبهُ فكنت تراهُ يبكّر الى بيت الله ويقضي في الكنيسة قسمًا من نهارهِ مستحرًا بالصلاة او قائمًا بجانب المذبح يخدم الكهنة ويساعدهم في اقامة الرتب الدينيّة بحشمة عجيبة تقرّ لها ابصار الحاضرين. وكان الله عزّ وجلّ يجذب اليهِ قلب الولد ويسمعهُ صوتهُ ويدعوهُ الى خدمتهِ. فاجاب الى هذه الدعوة قبل ان يدرك الحادية عشرة من عمرهِ وتنازل عن حقوق البكريّة لاخوتهِ وخصّص نفسهُ لخدمة الهياكل ولم يرضَ بميراث غيرهُ تعالى. امّا والداهُ فلم يحُولا بينهُ وبين مشيئتهِ عزّ وجلّ لعلمهما ان اعظم بركة للعيال المسيحيّة ان يختار الله لهُ منها اولادًا ينقطعون لخدمتهِ ويزهدون في الدنيا وملاذّها

ثمّ اخذ يوحنا دي لاسال ينكبّ على تحصيل العلوم في كليّة وطنهِ ريمس فافرغ جهدهُ في الدروس حتى برع في المعارف البشريّة واصاب بين اقرانهِ السهم الفائز. فوقع

حبهُ في قلب رئيس الكليَّة الكاهن القانوني دوزه (Dozet) فاراد ان يتنازل لهُ عن حقوق القانونيَّة والراتب المتعلّق بها فخوَّلهُ الاسقف هذه الرتبة سنة ١٦٦٧ وادخلهُ في عداد القانونيين مع انهُ كان وتشنّز في مقتبل العمر لم يبلغ السابعة عشرة من سنهِ. وكان الكاهن الفاضل الذي انعم عليه بهذا المقام اوصاهُ بان يعيش في منصبهِ الجديد عيشة النسَّاك فجرى على وصيَّتهِ وصار قدوةً لكل من يعرفهُ

ولمَّا رأى رجل الله انهُ اتقن العلوم التي كانت كليَّة ريمس تعلّمها اتى باريس ليأخذ عن مشاهير اساتذة كليَّتها فتفرَّغ فيها للدروس العليا مدَّة سنتين واستعدَّ لدرجة الملفنة. وكان في تلك الاثناء مقيمًا في مدرسة سان سولبيس الشهيرة بين عدد غفير من الشبَّان الذين شرَّفوا الكنيسة بفضائلهم واعمالهم الخطيرة ألَّا انَّ دي لاسال امتاز بينهم جميعًا واستلفت اليهِ بقداسة سيرتهِ كل الابصار

وفي اثناء دروسهِ ابتلاهُ الله بموت اعزّ اهلهِ ابيهِ وامّهِ فتحمَّل مصاب وفاتهما بتجلُّد وصبر لكنَّهُ اضطرَّ الى ان يعود الى موطنهِ ليقوم بوصاة والديهِ ويسوس اخوتهُ. فدبَّر كل الامور بحكمة عجيبة وهو مع ذلك يعدّ نفسهُ للكهنوت الذي رقاهُ الى رتبتهِ السامية اسقفهُ السيد لوتليار (Letellier) في كنيسة ريمس الكاتدرائيَّة في ٩ نيسان ١٦٧٨

فمذ ذاك اليوم تحوَّل يوحنا دي لاسال الى رجل جديد ومع انهُ كان يشار اليهِ سابقًا بالبنان لفضلهِ اضحى بعد نعمة الكهنوت كملاك متقمّص بجسد بشري. فجعل يعود المرضى ويسعف المساكين ويتردَّد على السجناء ولا يدع عملًا صالحًا ألَّا يباشرهُ وكان يتمّم كل واجبات الكهنوت من كرازة وتوزيع الاسرار بغيرة لا تعرف مللًا حتى ردَّ كثيرين من الخطأة الى جادَّة الدين وسراط الفضيلة

*

لكنَّ الله عزَّ وجلَّ كان اصطفى الاب يوحنا دي لاسال لمشروع آخر اعظم خطرًا واعمّ جدوى كان من شأنهِ ان يغيّر وجه فرنسة ألا وهو تهذيب اولاد الفقراء بمبادئ العلوم وتربيتهم وفقًا للتعاليم المسيحيَّة. فانَّ المدارس الابتدائيَّة كانت قبل زمانهِ بايدي اناس لم يتجرَّدوا لهذا العمل تمامًا او يطلبون منهُ الربح فلم يمكن الفقراء ان ينالوا من منافع التهذيب ألَّا النزر القليل. وكانت مع ذلك الكنيسة في مجامعها لا تزال تشدّد

على رعاتها وتحرضهم على الاهتمام بتعليم الصغار من جمهور الشعب لئلا تفسد آدابهم اذا أهملوا ويعود سوء تربيتهم وبالًا على الهيئة الاجتماعية. فوجَّه كثيرون من اهل الخير همَّتهم الى هذا الامر الخطير الَّا انَّ مساعيهم لم تعمَّ كل الانحاء. وزد على ذلك انَّ اصحاب الاصلاح الموهوم من الكلوينيين كانوا بعد الحروب الدينيَّة افنوا قسمًا كبيرًا من الاوقاف التي كان حبسها ذوو المبرَّات في سبيل تهذيب اولاد الشعب فلم يعد يمكن كثيرين من الاساقفة ان يقوموا بتكاليف المعلّمين

فلسدّ هذا الخلل دعا الله الاب يوحنا دي لاسال الى انشاء جميَّة المدارس المسيحيَّة لتكون كعين ساهرة تجري على نفوس الاحداث غيرَ فاترة وتسقي كلَّ البلاد بمياهها المذبة. على انَّ وليّ الله لم يُقدم على هذا المسعى الجليل الَّا خطوةً خطوةً مدفوعًا من يدهِ تعالى دون ان يقاوم في شيء ارادتهُ عزَّ وجلَّ

وكان الله قيَّض لهذا الامر رجلًا غيورًا من اصحاب الخير يُدعى نيال (Nyel) كان يطوف فرنسة لينشئ في انحائها مدارس مجانيَّة للفقراء. فاستدعتهُ امرأة فاضلة من ذوي الثروة اسمها ميلفر (M^me Maillefer) من قرابة القديس دي لاسال ليفتح مدرسةً في موطنها ريس فاجاب الى دعوتها وباشر بالامر سنة ١٦٧٩

وبعد زمن قليل انضمَّ الى المسيو نيال معلّمون آخرون فاختاروا يوحنَّا ديلاسال كمرشد لهم ومساعد. فالقديس رغمًا عمَّا كان يقتضي ذلك منهُ من الايثار وتضحية النفس لم يأبَ ان يرجح خير القريب على راحتهِ. لكنهُ ما دخل في هذه الطريق حتى تراكمت عليهِ الهموم وترايدت الاتعاب. وكان هؤلاء المعلمون يأتونهُ من طبقات العامَّة معارفهم قليلة وفيهم من النقائص والطباع الفظَّة ما اعتادهُ مثلهم. فتولَّى القديس ارشادهم وكسب ثقتهم وجعل يجمعهم مرارًا ليعلّمهم اساليب تهذيب الاطفال ويزرع في قلوبهم فضائل المعلّمين المسيحيين حتى صاروا اهلًا بدعوتهم

ثمَّ دعت الاحوال المسيو نيال الى ان يخرج الى مدينة أخرى فصارت كلّ اعباء التدبير على عاتق الكاهن الفاضل وأخذ المعلّمون يعتبرونهُ كابٍ لهم ورئيسهم الخاص. فزاد حبهُ نحوهم فدعاهم الى مائدتهِ ثمَّ ادخلهم بيتهُ وجعلهم ضيوفهُ بل كان يعيش بينهم كانهُ واحدٌ منهم. فادَّى بهِ لطفهُ الى ان صار كالاب المصطفى كلًّا للكل ليربحهم جميعًا للمسيح بل كان يخدمهم ويصرف عليهم من مالهِ ويعزيهم في ضيقتهم ويعتني بتلامذتهم

الصغار حتى أنهُ كان يتولى تعليمهم بنفسهِ اذا مرض احدهم

بيد ان هذه العيشة القشفة أثارت عليه بعض اهلهِ واصحابهِ فهجروهُ ونقموا عليهِ واصابهُ من المحن المديدة والاضطهادات الجمَّة ما كان كفوءًا ليثنيهُ مرارًا عن عزمه ويفتَّ في ساعده. وكثيرًا ما كانت تأتيهِ البلايا والشدائد ممَّن كان الاجدر بهم ان يساعدوهُ في اعمالهِ المبرورة فكان يحتمل كلَّ ذلك بصبر جميل ويتقبل الاهانات دون ان ينبس بكلمة

وكان الله يسند عبدهُ بقدر ما يوسمهُ البشر الماً واحتقارًا. فيتجلى لهُ في الصلاة ويعزّيه ويملأ قلبهُ فرحًا وسرورًا ويبارك على جمعيَّتهِ وينميها بالعدد والفضل حتى جعل اساقفة فرنسة يطلبون اليه ان يرسل الى مدنهم من ابنائهِ من يقوم بتهذيب اولاد الفقراء. فما لبث ان شاع اسمهم في كل انحاء الدولة

امَّا القديس فكان همُّهُ الاعظم ان يثبت بنيهِ ويقوّي في قلبهم روح التجرُّد والتفاني ولمَّا رأى انهُ حان الوقت ليربطهم برباط النذور الرهبانيَّة عرض عليهم ذلك فاجاب قسم منهم بطيبة الخاطر وابرزوا نذورًا موقتة بين يديهِ

وكان يوحنا دي لاسال اول من يحافظ على هذه النذور ويمارسها بنشاط لا مثيل لهُ. فانَّ حبَّهُ للفقر قد بلغ بهِ الى ان تجرَّد عن كل اوقاف قانونيَّتهِ والمال الموروث من والديهِ ففرَّق كل ذلك على المساكين ولم يشأ ان يعطي شيئًا منهُ لاهلهِ او للجمعيَّة التي انشأها ليزيد بذلك زهدهُ واتكالهُ على الله. فكان يأكل مع اخوتهِ خبز الصدقة الذي يستعطيهِ على ابواب المحسنين

امَّا عفَّتهُ فكانت تصيّرهُ شبيهًا بملائكة الله حتى انَّ كل من كان ينظر اليهِ او يقترب منهُ او يعترف عندهُ يشعر بمحبَّة الفضيلة والرغبة في السيرة الطاهرة. ولمَّا اتت اليهِ جدَّتهُ لتعودهُ في مرض عضال كان اصابهُ لم يسمح لها ان تدخل غرفتهُ بل آثر ان يقوم من فراشهِ ليواجهها في الديوان البرَّاني ليعلّم اولادهُ حبَّ الطهارة والقانون معًا

ألا ان الطاعة كانت فضيلتهُ الخاصَّة كان يقدّمها على سواها لعلمهِ انها اسُّ الحياة الرهبانيَّة وكمالها. وقد اعطى في ذلك لبنيهِ امثالًا جليلة ساروا بموجبها فزادوا بذلك فضلًا. منها امتثالهُ لاوامر الكرسي الرسولي واخلاص طاعتهِ للحبر الروماني. وكثيرًا ما سعى اعداء الكنيسة لاسيما اليانسينيين ان يفصلوهُ وجمعيَّتهُ عن نائب المسيح كما

فعلوا بجمعيات أخر فوجدوا القديس في ذلك كالصخرة الصماء لا تلينهُ المواعيد ولا تخيفهُ ضروب الوعيد . والحقّ يقال انّ هذا الذي جعل اعمالهُ مثمرةً نامية واخوتهُ مزهرة عامرة الى يومنا رغمًا عن طوارئ الدهر ونكبات الزمان

وممَّا زاد عمل القديس ثباتًا انهُ وضع لابنائهِ قانونًا مملوءًا من الحكمة والتقى اثبتهُ بعد وفاتهِ الكرسي الرسولي . ومن اعمالهِ تنظيمهُ لدروس المدارس الابتدائيَّة في كل طبقاتها ووضعهُ اساس المدارس التعليميَّة (écoles normales) وقد صنَّف تأليفًا موجزًا لتهذيب اخلاق الاحداث وضمَّنهُ القواعد الادبيَّة التي يحتاج اليها الصغار (١) . وله غير ذلك من المشروعات الجليلة التي يؤدي بنا شرحها الى الاطناب المملّ وفي ما سبق ما يكفي لبيان فضل هذا القديس

وكانت وفاة يوحنا دي لا سال في ٧ نيسان من سنة ١٧١٩ وقلبهُ طافحٌ بفرح سيدهِ الذي دعاهُ كالعبد الامين ليجازيهُ عن تجارتهِ الرابحة . فانهُ ما سمع الطبيب يخبرهُ بقرب ساعة موتهِ حتى صرخ: « يا لها من بُشرى كنتُ انتظرها من زمن مديد » ثم قام من فراشهِ كأنهُ نسي اوجاعهُ وجثا راكعًا على الحضيض ليتناول جسد ربهِ بما امكنهُ من الورع والتواضع . ولمَّا حانت ساعة النزاع اجتمع اليهِ بنوهُ وطلبوا منهُ بركة الاب لاولادهِ فقال: « اخوتي . فليباركم جميعًا العليّ بيمينهِ . وهذه وصاتي اليكم اعتزلوا اهل العالم وحافظوا على قانونكم لتثبتوا في دعوتكم » . ثم انقطع الى مناجاة الله وطال نزاعهُ فلمَّا كان عصر النهار فتح عينيهِ وبسط ذراعيهِ وحاول ان يقوم كأنهُ يريد استقبال صديق لهُ ثمَّ ضمَّ يديهِ . واسلم روحهُ الطاهرة لخالقهِ يوم جمعة الآلام نحو الساعة التي مات بها الفادي

وما كاد ولي الله يودّع هذه الحياة الفانية حتى انتشر عرف فضلهِ وكرَّمهُ عزَّ وجلَّ بعمل المعجزات وارعوى اعداؤهُ فاقرّوا بقداستهِ واخذ الكرسي الرسوليّ مذ ذاك الحين يبحث بحثًا شرعيًّا عن فضائلهِ السامية وعجائبهِ الباهرة . ولمَّا لم يبقَ لاحد في ذلك ادنى ريب طوَّبهُ الحبر الروماني في ١٩ شباط سنة ١٨٨٨ ثم تكرَّرت العجائب بشفاعة الطوباوي بعد ذلك وتبيَّن المجمع المقدَّس صحتها فعاد البابا لاون في السنة الماضية ورقَّى يوحنا دي لاسال الى رتبة القديسين الذين لا يمكن الارتياب في سموّ قداستهم ووجوب اكرامهم في العالم الكاثوليكيّ اجمع

(١) وهذا الكتاب قد عرَّبهُ مؤخرًا بتصرُّف جناب يوسف افندي صفير وطبعهُ في بعبدا

ونحن بهذه النزهة نهنئ اخوة المدارس المسيحيّة الافاضل بالشفيع المعظم الذي نالوهُ من يد الرب ونتمنى لهم من صميم الفؤاد ان يداوموا على تقفّي آثار منشئهم الجليل فيزيدوا تحت لوائهِ نشاطاً في فلاحة كرم الرب (١)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

• المطابع في لبنان

انتهينا بايدم تعالى من تاريخ فنّ الطباعة في بيروت. فلا بدَّ ان نلحق المقالات السابقة بنبذة عن المطابع في لبنان. قلنا سابقاً انَّ فن الطباعة كان اول ظهورهِ في برّ الشام وذلك في دير قزحيا في وادي قاديشا حيث طبع اول كتاب بحرف سرياني وهو كتاب الزبور (راجع المشرق ٣ : ٢٥١) ثمَّ اتسعنا في ذكر مطبعة هذا الدير مع ما يختصّ بتاريخ مطبعة دير مار يوحنا الصابغ في الشوير (المشرق ٣ : ٣٦٠)

الَّا انهُ منذ أواسط القرن التاسع عشر أُنشئت في لبنان مطابع جديدة لا نرى

---

١) اعلم ان اخوة المدارس المسيحيَّة يبلغون اليوم نحو ١٧٠٠٠ اخ مع المبتدئين الذين يطلبون الدخول في جمعيّتهم. ونصف هؤلاء الاخوة يهذّبون الشبيبة في فرنسة ولا يقلّ فيها عدد تلامذتهم عن ٣٠٠,٠٠٠ امّا الباقون فهم منتشرون في اربع قارات المعمور. وفي أقطار الشرق منهم عدد غفير. وقد اكتسبوا خصوصاً في مصر وفلسطين وسوريَّة ثقة الجمهور بحسن تعليمهم وتربيتهم للاحداث. وقد ترأس عليهم منذ عهد القديس يوحنّا دي لاسال ثلاثة عشر رئيساً هذه اسماؤُهم مع تاريخ رئاستهم : ١ً الاخ برتلمي وكان تولى الرئاسة قبل موت القديس دي لاسال (١٧١٧—١٧٢٠) = ٢ً الاخ تيموتاوس (١٧٢٠—١٧٥١) = ٣ً الاخ كلوديوس (١٧٥١—١٧٦٧) = ٤ً الاخ فلورنس (١٧٦٧—١٧٧٧) = ٥ً الاخ اغاتون (١٧٧٧—١٧٩٥) تبعهُ الاخ فرومنس (١٧٩٥ ١٨١٠) ولم يُعدّ كرئيس عام وانَّما كان كنائب لهُ = ٦ً الاخ جربود (١٨١٠—١٨٢٢) = ٧ً غليوم دي جيزو (١٨٢٢—١٨٣٠) = ٨ً الاخ اناكليت (١٨٣٠—١٨٣٨) = ٩ً الاخ فيليب (١٨٣٨—١٨٧٤) = ١٠ً الاخ جان اوليمب (١٨٧٤—١٨٧٥) = ١١ً الاخ إرليد (١٨٧٥ — ١٨٨٤) = ١٢ً الاخ يوسف (١٨٨٤ — ١٨٩٦) = ١٣ً الاخ جبرائيل وهو الرئيس الحالي (١٨٩٦)

ندحةً في السكوت عنها مع ما ادّتهُ للآداب من الخدم المشكورة

١ (مطبعة بيت الدين ودير القمر) أُنشئت مطبعة بيت الدين نحو سنة ١٨٦٢ وكان الساعي بانشائها حنَّا بك الاسعد من مزرعة بيت ابي صعب في بلاد البترون. وكان للمذكور في بادئ الامر مطبعة حجريَّة طُبع فيها شرح المعلَّقات للزوزني سنة ١٨٥٣ (ص ٢٤٠)

وبعد ان صارت متصرفيَّة جبل لبنان في عهدة المرحوم داود باشا استدعى سنة ١٨٦٣ المرحوم يوسف الشلفون ليساعدهُ على انشاء مطبعة في بيت الدين مركز المتصرفيَّة استحضرها من فرنسة. فأجاب المذكور الى سؤلهِ ونظَّم المطبعة المعروفة باللبنانيَّة. وانشئت وقتئذٍ جريدة رسميَّة في حاضرة المتصرفيَّة باسم (لبنان) وتولى تحريرها المرحوم حبيب خالد من بعبدا وكتب فيها المرحوم الياس حبالين فصولًا نقلها عن الفرنسيَّة يتعلَّق بعضها بتربية القزّ. وكانت حروف هذه المطبعة من حروف مطبعتنا القديمة. ولمَّا رأى يوسف الشلفون مطبعة بيت الدين معدَّة للطبع عاد الى بيروت (راجع المشرق ٣: ١٠٠٠) وتولى ادارة المطبعة ملحم بن ابرهيم النجَّار من دير القمر فبدل حروفها بالحروف الاميركانيَّة. ثمَّ رسم المرحوم حنَّا بك الاسعد حروفًا أُخرى ارسلها ملحم المذكور الى النمسة لتُصنع لها قوالب. وكان اول كتاب طُبع في بيت الدين كتاب كليلة ودمنة سنة ١٨٦٨ (ص ٣٤٦) نقلًا عن طبعة العلامة البارون دي ساسي المطبوعة في باريس سنة ١٨١٦

ثم انتقل ملحم النجَّار الى دير القمر وطبع هنالك كتاب ذبح البطلان بجدّ البرهان لمنصور باحوط ردًّا على جواب ميخائيل مشاقة على منشور البابا بيوس التاسع بخصوص المجمع السكوني (سنة ١٨٦٩ ص ٧٨). وكتاب ملحة الاعراب وسجعة الآداب للامام الحريري عن نسخة تولَّى تصحيحها جناب جرجس افندي صفا (١٨٧١. ص ٥٦٤ بقطع صغير) وترجمة قاموس شبسال لفضول افندي البستاني تلميذ مدرستنا في غزير. طبع منهُ حرف الاول (A) بالفرنسويّ والعربيّ

ولمَّا كانت سنة ١٨٧٣ وكل صاحب الدولة رستم باشا ادارة مطبعة الحكومة اللبنانيَّة في بيت الدين الى الدكتور منصور باحوط بعد ان جلب لها حروفًا اميركيَّة فطبع فيها كتاب الفرائد السنيَّة في ايضاح الآجروميَّة تأليف القانوني الفاضل جرجس

افندي صفا (١٨٧٤ . ص ٨١) . ثم كتاب في علم الحساب تأليف منصور باحوط مدير المطبعة (١٨٧٤ . ص ٤١) ثم كتاب فرائد الفوائد وهو معجم صغير في العلوم الطبيعية والطبية له (١٨٧٤ . ص ٣٢١) . ثم بحث الطالب في علم العربية تأليف السيد جرمانوس فرحات (١٨٧٦ . ص ٤٢٥) ثم التعليم العسكري ترجمة الدكتور منصور باحوط بمعاونة مارون افندي العقليني الّا انهُ لم يكمل . وغير ذلك من روزنامات واوراق تجارية وسالنامات . منها بالتركيَّة سالنامة جبل لبنان سنة ١٣٠٦ (ص ٩٢) . ولم تزل هذه المطبعة في سراية بيت الدين لكنها لا تطبع الّا الاوراق المتعلّقة بامور الحكومة

٢ (مطبعة طاميش) دير سيدة طاميش للرهبان البلديين أُنشئ سنة ١٦٧٣ يطلّ على وادي نهر الكلب في جنوبيّهِ . ولمَّا كانت سنة ١٨٥٥ استحضر رهبانهُ على يد ابراهيم افندي الديراني آلة طبعيَّة مع ادوات أُخرى للتجليد والتجارة . ولم يكن للمطبعة مسبك وانما عُملت لها احرف عربيَّة . وبقيت هذه المطبعة تشتغل الى نحو سنة ١٨٨٢ . ثمَّ بيعت ادواتها مع توابعها لقلّة نفعها للدير وكثرة المطابع في بيروت . ثمَّ عُمل لها بعد ذلك احرف سريانيَّة فطُبع بها كتب قليلة . امَّا اسماء المطبوعات التي صدرت من هذه المطبعة فهذه قائمتها :

١ً اللاهوت الادبي للقديس الفونسوس ليكوري بمجلدان (١٨٥٨—٨٦٢ . ص ٧٣٠ و ١١٣٩) = ٢ً كتاب الدر المنظوم ردًّا على كراسة البطرك مكسيموس مظلوم للبطرك بولس مسعد (١٨٦٣ . ص ٢٤٢) = ٣ً تاريخ المرطقات ودحضها للقديس المذكور ترجمة المطران يوسف الدبس (١٨٦٤ . ص ٨٣٢) = ٤ً كتاب حوادث الإعتراف للانبا خريسطوفوروس اليسوعي (١٨٦٦ . ص ٣٥٠) = ٥ً كتاب فصل الخطاب في الوعظ ولوازمهِ وفائدتهِ للمطران جرمانوس فرحات (١٨٦٧ . ص ٣٠٠) = ٦ً المثلّثات الدريَّة شعرًا مع شرحها بمعنى روحي مفيد للمطران المذكور (١٨٦٧ . ص ١٦٧) = ٧ً الشبيَّة وهي صلوات مختلفة نقلًا عن الكرشونيَّة (١٨٦٧ . ص ٢٢٤) = ٨ً فرائض بعض مجامع الرهبنة = ٩ً مطبوخ اي حساب القمر وتوليده مجموع من الاب نعمة الله الراموني اللبناني (١٨٦٢)

والكتب السابقة طبعت بالحرف العربي . امَّا التي طُبعت بالحرف السرياني البلدي فهي :

١ً الشحيمة الكاملة = ٢ً ثم خدمة القدَّاس

٣ (مطبعة اهدن) تأسست هذه المطبعة في اواخر سنة ١٨٥٩ باسم المرحوم

رومانوس يمين شاركهُ في عمله الخوري الفاضل يوسف الياس الدبس (١ واحضرا آلة الطبع من اوربا. امَّا الاحرف فمن شغل رومانوس المذكور مع قسم من الحروف الاميركانية من بيروت (٢. وفي سنة ١٨٦٠ ظهر اول كتاب طُبع في هذه المطبعة وهو كتاب القلب المنسحق للاب يوحنا بطرس بيناموتي اليسوعي ترجمة المطران جرمانوس فرحات (ص٨٨) طُبع بنفقة الاب الخوري بولس موسى وشركائهِ على متنهِ الاصلي المطبوع برومية العظمى. وطُبع ايضاً فيها كتاب قوانين اخويَّة الحبل بلا دنس (١٨٦٥، ص ١٦٠). وكتاب عبادة قلب يسوع مع اضافة صلوات الاستعداد والشكران نقلًا عن كتاب الرياضة اليوميَّة المطبوع في رومية. ثم قسم من كتاب تفسير الانجيل للخوري يوسف الدبس لكنَّهُ وقتئذٍ لم ينجز طبعهُ. ثمَّ توقَّفت المطبعة وبيعت مؤخَّرًا لرهبان دير قزحيا (٣

٤ (المطبعة العثمانية) تأسَّست هذه المطبعة سنة ١٨٩١ مسيحيَّة في شهر تشرين الثاني في بعبدا مركز متصرفيَّة لبنان لصاحبها الفاضل جناب ابرهيم بك الاسود وهي المطبعة الاولى في لبنان التي تأسَّست بارادة سنيَّة في دائرتها مكتبة تحتوي على عدد وافر من الكتب العربيَّة والاجنبيَّة بهمَّة ابراهيم بك الاسود. وفيها ٢٥ عاملًا بين كتبة ومرتبي حروف وجباة وسعاة وخدمة. وفيها وابور كبير متقن للطباعة وبضع مطابع صغيرة وفيها من الادوات ما يجعل لها مكانة مكينة بين المطابع المتقنة. وهي تطبع الكتب وجميع انواع المطبوعات بين عربيَّة وتركيَّة وافرنسيَّة وانكليزيَّة ويونانيَّة وسريانيَّة وفيها تُطبع جريدة لبنان لصاحب امتيازها المتقدم ذكرهُ ومجلتا النار والشمس وفيها طُبعت جريدة الصفا مدَّةً مديدة. امَّا مطبوعاتها فسوف ننشر قائمتها في عددٍ قادم

(ستأتي البقيَّة)

---

١) جاء في صدر كتاب عرفان الجميل لصاحب اليوبيل في ترجمة الحبر المفضال المطران يوسف الدبس (ص١٠) ما حرفهُ: « ومن مشروعاتهِ وقتئذٍ تأسيسهُ المطبعة العموميَّة في اهدن عام ١٨٦٤ بشركة الخواجا رزق الله خضرا وقد نُقلت الى بيروت بعد ذاك على اثر حوادث عام ١٨٦٦ » وهذا لا يوافق ما اخذناهُ عن اوثق المصادر وتاريخ مطبوعات اهدن التي هي في يدنا

٢) هكذا أفادنا حضرة الخوري يواكيم يمين من اهدن والاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس ٣) عنهما ايضاً

مطبوعات شرقية جديدة

NUMISMATQUE DES VILLES DE LA PHÉNICIE
par le Dr J. Rouvier, *extrait*, pp. 120 *avec VI planches*.

المسكوكات الفينيقية للدكتور جول روڤيه

توافق البشير في ما كتبهُ في عدده الاخير (١٣ ايار) عن المجموع النفيس الذي باشر نشرهُ الدكتور جول روڤيه احد اساتذة مكتبنا الطبي. وغايتهُ ان يضع قائمة غاية في الضبط لكل مسكوكات المدن الفينيقيَّة. وهو لعمري مشروع عظيم يستدعي من المعارف والاتعاب ما لا يقوى عليهِ الَّا رجل همة ونشاط مثل الدكتور المومأ اليهِ. وهذا القسم الاول الذي وقفنا عليهِ يزيد ثقتنا بحسن العمل فانَّهُ يتضمَّن قائمة نقود مدينتي ارواد وبيروت وهي تحتوي وصف ٦١٩ قطعة رُسم بعضها بالتصوير الشمسي في ست صفحات. امَّا النقود فهي محفوظة في متاحف عديدة كمتحف باريس ومتحف المؤلف ومتحفَي كليَّتنا والكلية الاميركية وعند بعض الخواص كسعادة قنصلي المانية وروسية في الثغر. وللمؤلف في اثناء الكلام عدَّة ملاحظات دقيقة وتصحيحات الى غير ذلك من الفوائد. فنهنئ الدكتور روڤيه على مباشرة هذا العمل الجليل ونتمنى ان يوفقهُ الله الى تمامهِ بوقت قريب

MATERIALI PO KAZAK-KIRGIZKOMOU JAZIKOU
sobrannjye J. Laptebiin, *Moskba*, 1900 pp 148

بحث في اللغة القزانية القرغزيَّة

هذا الكتاب وضعهُ المعلم الروسي ليتيف وهو يبحث فيهِ عن اللغة الشائعة بين احدى القبائل التتاريَّة الخاضعة لحكم دولة روسية. وقد ضمَّنهُ منها مقاطيع شعريَّة ونثريَّة وقصصاً وامثالاً ثم ألحق ذلك بملخَّص صرف ونحو هذه اللغة وختم كتابهُ بمعجم جملهُ على ترتيب حروف الهجاء. واللغة المذكورة لغة تتاريَّة تقرب من التركية يتكلَّم بها نحو ١٥٠,٠٠٠ شخص والكتاب كلُّهُ بالروسية ل. ش

شذرات

تاريخ آل معن والشوف — قرأنا فصلاً حسناً حرَّرهُ الكاتب

الفاضل جرجي افندي يني في المقتطف (راجع عددي فبراير ومارس ١٩٠١) عن آل معن. وفي هذه المقالة من الفوائد ما لا يُنكر وان دخلها بعض الاغلاط كقول المؤلف (ص ١٠٥): «انّ جدّ آل معن ايوب من سلالة الايوبيين ملوك بغداد» والصواب ان الايوبيين من سلالة ايوب وانهم لم يملكوا قط على بغداد. وكقوله ايضًا انّ الامير معن صاهر الملك النعمان (؟). الى غير ذلك. مما لا نتعرّض لهُ هنا. وانَّما نكتفي بتخطئة ما سطرهُ جناب الكاتب في الصفحة ١٠٧ بخصوص قطر الشوف انهُ كان في بدء القرن الثاني عشر «خرابًا يبابًا». وهو كلام لا يوافق الحال فانَّ لدينا عدَّة تآليف للصليبيين ومناشير للباباوات واحكامًا للاساقفة وحججًا ترتقي الى ذلك العهد ورد فيها ذكر نيّف وخمسين قرية من الشوف. وبعض هذه القرى تدعى كزالًا (casal) وهو اسمٌ يدلّ على أمهات القرى. فيؤخذ من ذلك انَّ الشوف سكنهُ الاهلون قبل هذا العهد بزمن ليس بيسير

وكذلك لا صحّة لما نقلهُ المؤلف عن اصل تسمية هذا القطر بالشوف من «انَّ اسم الشوف مشتقّ من شُفْ اي انظر» قالها امير تنوخي للامير معن. لانَّ اسم الشوف ورد في التآليف السابق ذكرها قبل زمن الامير معن وهو مكتوب فيها على صورة Sscuff امَّا اصل هذا الاسم فلم يتفق عليهِ الكتبة الى يومنا م. ل

❊ كتاب جليل في الموسيقى ❊ هو كتاب الرسالة الفتحيَّة من «وقف المرحوم ابرهيم فصيح الحيدري على تكيّة الخالديَّة» حسب عبارة الخاتم المختومة بهِ الصفحة الثانية منهُ. وقد كتب على الصفحة الاولى ما هذا حرفهُ منقولًا: «قد اشتريتُ هذا الكتاب في بلدة قسطنطينيَّة في السفرة الثالثة اليها. وانا الفقير السيد ابرهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي. وذلك سنة الف ومائتين وتسعين من الهجرة النبويَّة على صاحبها افضل السلام واكمل التحيَّة». وقد كُتب عنوانهُ بقلم يختلف حبرهُ عن مداد سائر الكتاب هذا نصهُ: «هذا الكتاب (كذا) من علم الموسيقى لمحمد بن عبد الحميد اللادقي (كذا) رحمهُ الله تعالى رحمة واسعة»

وهو كتاب نفيس وخطّهُ فصيح دقيق الحروف ومحلّى باطار بماء الذهب يوازيه خطّان اسودان دقيقان. طول الصفحة ٢٠ سنتيمترًا و ٣ مليمترات في عرض ١٢ سنتيمترًا وطول المخطوط منها ١٥ سنتيمترًا في عرض ٧ سنتيمترات وفي كل صفحة ٢٧ سطرًا وفي الكتاب ٥١ قائمة (اي ورقة) واليك فاتحة الكتاب:

« بسم الله الرحمن الرحيم وعليهِ التكلان . — الحمد لله الذي اذاقنا حلاوة ألحان عنادل وَرْد جمالهِ (١ في دوائر روضات النبراء . بكمال قدرتهِ ورأفتهِ . واعدّ لنا شبه اشجار محبَّتهِ في ابعاد طبقات جنات الخضراء . بجلال عظمتهِ وسطوتهِ . وأجلى كُدورات قلوب الاحبأ . بصياقل سماع زمزمة النغمات وايقاع النقرات . كما أحيا الارض الميتة عن شدائد الشتاء . بإرسال آثار الربيع الذي يحيي الاموات . والصلاة على سيد الخلق محمّد الذي كان مقام عشاقهِ في الحجاز والعراق محموداً . وآلهِ وصحبهِ الذين صار حال تابع قولهم وعملهم في الدارين مسعوداً . وبعدُ ....»

واليك ختام الكتاب باغلاطهِ :

« تمت الرسالة الفتحيَّة . بعون الله خالق السموات العلية . وقع الفراغ بعون الله تعالى من التحرير على يدي الفقير محمّد رشيد ابن حسن بن الشيخ محمد غفر الله لهم . في اليوم الخامس عشر من شهر محرَّم الحرام لسنة احدى وستين ومائة والف من هجرة لهُ العز والشرف والحمد لله وحدهُ »

وفي الكتاب حواشٍ كثيرة واشكال مختلفة للدلالة على الابعاد والمقامات ونحو ذلك . ومن خصائصهِ التي تفرّد بها هذا السِفر النفيس ذكر جدول واسع فيهِ : « تبيّن جميع الادوار المشهورة بنغماتها وابعادها معاً تيسيراً لباحث اشتراك نغمها وصبغاتها واليك صورة سطر من هذا الجدول الغريب العجيب :

دائرة	اول	اول
عشاق	ع ه يد يا	ح ر د ا
	ط ب ط ط	ب ط ط

وقد صوَّر كل نغمة بحرفٍ من الحروف الهجائية بعد ان شرح نغمة ذلك الحرف من موطنهِ على الخط ومسقطهِ فوقهُ او تحتهُ او بينَ بينَ كما ترى امامك على حدّ ما ترى عند الافرنج من علامات النغم (المعروف عندهم باسم النوط notes) ومن هذا نتحقّق ان هذا الكتاب لم يُنسج على منوالهِ وبديعهُ في اقوالهِ واشكالهِ

وقد اهداهُ ناسج بُردتهِ ومُنَمنِم طرّتهِ : « الى السلطان ابن السلطان . السلطان بايزيد خان . ابن السلطان . محمد خان » . وقد ذكر سبب تسميتهِ بالرسالة الفتحيّة ما هذا نصّ كلامهِ : « ولمّا كان فتح مُغلقات ابوابها واقعاً في ازمنة اوائل فتوح سلطان زماننا سمّيتها بفتحيّة مناسبة لاسم معظم مأخذها شرفيّة » . ثم ذكر بعد ذلك ترتيب ابوابها فقال :

١) قلتُ : العنادل جمع عندليب وهو الطائر المشهور بحسن صوتهِ وأُضيف اليهِ الورد لان عندليب الورد اي المولود في أوان الورد افصح من عندليب الثمر اي المولود في ايام الثمر .

« ورتّبتها على مقدّمةٍ وطرفين. بتوفيقٍ من الله ربّ المشرقَين وربّ المغربَين. امّا المقدّمة ففيها فصول ثلاثة :

الفصل الاول : في امور ستة منها : تعريف الموسيقى وما يستدعي تعريفهُ ومنها موضوعهُ ومنها واضعهُ ومنها غايتهُ ومنها شرفهُ ومنها وجهُ تسميتهِ

الفصل الثاني : في المبادئ الطبيعيّة

الفصل الثالث في المبادئ العددية والهندسيّة

الطرف الاول : في علم التأليف وفيهِ خمس مقالات : (المقالة الاولى) : في تقسيم الدساتين ومباحث الابعاد الملائمة ونسبها المستخرجة من مقادير اوتارها . (المقالة الثانية) : في اضافات الابعاد بعضها الى بعض وفصلها وتنصيفها وتثليثها وتربيعها . (المقالة الثالثة) : في التأليف الملائم من الابعاد الصغار اللحنيّة واسباب التنافر . (المقالة الرابعة) : في الادوار المشهورة وتشادي (؟) نغمها وطبقاتها على الاجمال والاوزات الستّ والشعب على رأي القدماء والاصطحاب المعهود بين الاوتار . (المقالة الخامسة) : في الالحان المستعملة المشهورة في زماننا هذا . او تاثيراتها بحسب خصوصيات الاشخاص والاوقات .

الطرف الثاني : في علم الايقاع وفيهِ ثلاث مقالات : (المقالة الاولى) : في احوال الازمنة المتخلّلة واسبابها الموضوعة لها . (المقالة الثانية) : في أنواع الايقاع المستعمل عند المتقدمين . (المقالة الثالثة) : في أنواع الايقاع المشهور عند المتأخرين

كاتبه الاب انستاس الكرملي

✣ حلّ لغز العدد السابق ✲ وردنا حل اللغز المثبت في العدد السابق لكثيرين من الادباء نسرد هنا اسماءهم حسب تاريخ ورود قصائدهم : حضرة الاب جبرائيل رزق مرهج ثم حضرة الخوري الفاضل يوسف العلم ثم جناب الاديب نخله يوحنا نصر ثمّ ستّة من تلامذة مدرستنا الكليّة : الاخ بطرس سارة من البترون وتوفيق زبليط من طرابلس والشقيقان حلمي وثابت مصري من طنطا ويوسف حنا سودا من بكفيا وسليم خوري من يافا ثمّ الشيخ قيصر أسعد الخوري احد تلامذة مدرسة الحكمة الزاهرة ثم الاديب شحادة سماحة تلميذ المدرسة الشرقية في زحلة ثم خمسة من تلامذة مدرسة مار يوحنا مارون العامرة : جرجس عسّاف من شبطين وحنّا جرجس سارة من البترون ومارون حنّا من عينكفاع وميخائيل نعمة من غوما ولكنّهم شعر رائق لم يسمح ضيق المكان من إيراده فنكتفي بحلّهِ للابوين الفاضلين الاوّلين الخوري ج . ر . مرهج ثم الخوري ي . العلم :

١ يا ملغزًا بالكهرباء وصفتها | وصفًا يدلّ على اتساع الخبرةِ
مدفونة في كلّ جسم ترتجى | بثًّا ألا أبثها بحس الحفرةِ
سلبيّها لوصال ايجابيّها | يبني وكم عجب بجذي الالفة
ضدّان قد طلبا الاخاء فجنّبا م | أتلفا ابادهما الوصال بلحظةِ
سارت فقصّرت المفاوز وانثنت | تنبيك احوال الصديق بسرعةِ
اعجب بها من ميْتة بُعثت فلم | تطق البقاء منغّصًا بجذلةِ
فبدت وابدت الانام غرائبًا | «وخوارقًا تقضي عليك بحيرةِ»

اتحاول التعداد تلك جبارةٌ   اجمٍ وقُل : فيها اصول القوَّةِ
لا تقربنَّها انَّ في نيرانها   رُسُل المنيَّة تلتقيك بشدَّةِ   ج . ر . م

٢ يمناك يا هذا للنزك سطَّرت   وبأختها مدلولهُ يتقلَّبُ
قد كان بين يديك موتُ كريمةٍ   وحياتها وكما تشاء ترتّبُ
فاذا امتَّ الجسم عاشت روحهُ   وبذا مثالٌ للكمال مدرّبُ
ما تلك في يمناك يا موسى وما   هذي الغرائب عن قواها تعربُ
فطنتها الدوبةَ باصابعٍ   مع انَّها اعجوبةٌ تُستغربُ
ونضدتَ من حبابها لك سُبحةً   والامر عندي ان تُسجل اوجبُ
هذي لعمري الكهرباء وانَّما   لحقيقةٌ فيها الكلام مصوّبُ
اختان موجبةٌ وسالبةٌ فلا   تأليف بينهما وهذا المأربُ
الحرب بينهما تطير شرارها   عند اللقا والرعد عنها يصخبُ
وصواعق تنقضُّ من موجاتها   منها المصائب كالسحائب تسكبُ
اين المدافع والمدامع والوغى   منها وقُل بل كيف صلحٌ يطلب
سبحان من جعل النيوم ضياءها   والبرق من ألحاظها يتلهَّبُ
روحٌ بجنَّتها وسرعة سيرها   وورا مطاوي لطفها تتحجبُ
هذي مزايا الكهرباء وعصرها   في كل يوم منهُ امرٌ اعجبُ   ي . ع

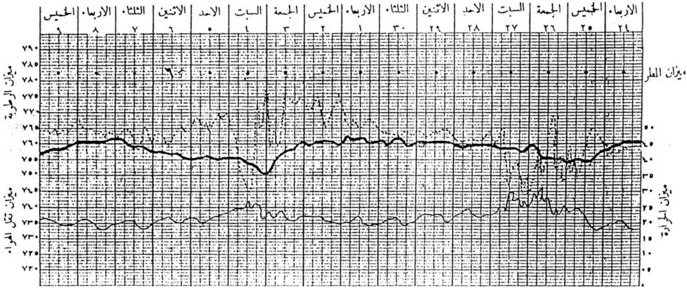
* تصحيح * وقع في مقالة توحيد الحسابين (ص٤٢٥) غلطتان نطلب الى القراء اصلاحهما : الاولى (س ١٦) قولهُ « في بد سبعة قرون » والصواب « تسعة ». الثانية قولهُ : « انسنان المئويَّتان . . . اللتان يُقسم مجموع اعدادهما على ٩ او ٤ دون باقٍ » والصواب « اللتان يقسم مجموع اعدادهما على ٩ دون باقٍ او يكون الباقي ٤ ». مثالهُ ٢٠٠٠ ,٢١٠٠ ,٢٢٠٠ ,٢٣٠٠ ,٢٤٠٠ ,٢٥٠٠ ,٢٦٠٠ ,٢٧٠٠ ,٢٨٠٠ يكبس منها ٢٣٠٠ و ٢٧٠٠ لانَّ باقي الاولى ٤ ولا باقي للثانية بعد القسمة على ٩

أَسئِلَة وَأَجوِبَة

س سألنا جناب ميخائيل افندي اسطنبوليَّة من دمشق ما هي الكتب الغربية والشرقية التي ورد فيها تاريخ الروم الملكيين وهل كتاب التخنيكون هو عين كتاب التواريخ المليَّة للقس يوحنَّا العجمي

ج ليس للروم الملكيين تاريخ منتظم حتَّى الآن وانما صدر فقط في اوربَّة عدَّة مقالات منفردة في هذا الموضوع كمقالات الاب ميشال من اخوية الاباء البيض والاب غاغارين اليسوعي وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ . امَّا كتاب التخنيكون فهو كتاب التواريخ المليَّة نفسهُ . وهنا نستنم الفرصة بردّ تهمة باطلة اتهمنا بها ناشر كتاب « الحجة الراهنة » في المقدَّمة حيث قال ان نسخة مكتبتنا تخصُّ مدرسة عين تراز استعارها منها الاب مرتينوس اليسوعي ولم يردّها . وهو قول باطل فانَّ كاتب هذه الاسطر ابتاع النسخة المذكورة من الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس في بيروت قبل ست سنوات فقط   ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٤ نيسان الى ٩ أيار ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمليمترات وعُشر المليمترات